مجالسُ الحديث النَّبويّ الشَّريف

الجزء الثالث

للإمام الشيخ عبد الله سِراج الدِّين الحُسيني

جمع وتقديم
ولدِهِ

المهندس الشيخ محمد مُحيي الدِّين سِرَاج الدّين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

مجالسُ الحديث النَّبويّ الشَّريف

الجزء الثالث

للإمام الشيخ عبدِ الله سِرَاج الدِّين الحُسيني

جمع وتقديم

ولدِهِ

المهندس الشيخ محمد مُحيي الدِّين سِرَاج الدِّين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

اعتنى بها وخرَّج أحاديثها

خادم العلم الشريف

الدكتور بكري بريمو السمان

في هذه المجالس

بيانات بعض أحاديث سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
التي ذكرها الإمام البخاري
رضي الله عنه
في (الجامع الصحيح)
وهي مجالس الشيخ الإمام
في جامع (الحموي)
يوم الأربعاء
بعد شروق الشمس بقليل

أيها القارئ الكريم

هَبْ ثواب قراءتك سورة الفاتحة

إلى العلّامة الكبير والعارف الشهير

الإمام المفسِّر المُحَدِّث الشيخ

عبدِ الله سِراج الدِّين الحُسيني

وإلى ولده العالِم العامل

المهندس الشيخ

محمد مُحيي الدين سِراج الدِّين

رضي الله عنهما، وجزاك الله خيراً

الموقع الرسمي والوحيد للشيخ الإمام

www.srajalden.com

المحاضرة الأولى بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب العلم والعِظة بالليل

ثم ذكر بسنده إلى السيدة أم سلمة رضي الله عنها قالت :

[اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: سُبْحَانَ الله، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنْ الْخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ].

وقال : باب السَّمَر[1] في العلم، وذكر بسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:[صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ].اهـ

لقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يكره النوم قبل صلاة العشاء ويكره الحديث[2] - أي الكلام - بعدها، إلا أن البخاري رضي الله عنه استدل على جواز السَّمَر في طلب العلم أو سماع الموعظة بالحديث المتقدم ذِكره، فيكره أن يختم الإنسان صحيفة يومه بكلام دنيوي مباح ، ولذلك كره النبي صلى الله عليه وسلم الكلام بعد صلاة العشاء إلا الكلام في العلم والموعظة وذكر الله سبحانه كما تقدم.

---

[1] قال الحافظ ابن حجر في الفتح : "وَأَصْله مِنْ لَوْنِ ضَوْءِ الْقَمَرِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ ، وَالْمُرَاد بِالسَّمَرِ فِي التَّرْجَمَة مَا يَكُون فِي أَمْرٍ مُبَاحٍ لِأَنَّ الْمُحَرَّمَ لَا اِخْتِصَاص لِكَرَاهَتِهِ بِمَا بَعْدَ صَلَاة الْعِشَاء، بَلْ هُوَ حَرَامٌ فِي الْأَوْقَات كُلِّهَا.
ثم قال : الْحَدِيث بَعْدَ الْعِشَاء يُسَمَّى السَّمَر". اهـ ٣٨٩/٣

[2] كما في صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة عن أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

قوله صلى الله عليه وسلم : [سُبْحَانَ الله، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنْ الْخَزَائِنِ]:

فكلمة: [سُبْحَانَ الله] يؤتى بها في سياق تعظيم الله عز وجل، وفيها هنا استعظام لِما أنزله الله تعالى فقد كُشِف له صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل الله تعالى في تلك الليلة من الفتن على أهل الفتن، ومن البلاء على أهل البلاء، ومن العقوبات على أهلها، ممن كان في زمنه صلى الله عليه وسلم ومَن بعده، فهي تتنزل في العوالم حتى يظهر أثرها في عالم الأرض، وقد كُشف ذلك كله لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله صلى الله عليه وسلم : [وَمَاذَا فُتِحَ مِنْ الْخَزَائِنِ] أي : فهناك خزائن ربانية رحمانية فُتحت لأهلها من المؤمنين المتقين، وفي هذا دليل على أن هناك أموراً تتنزل في الليل من فتن وعقوبات وبلاء ومحن على أهل الزيغ والضلال تظهر فيهم على توالي الزمن ، وهناك خزائن رحمانية تفتح أبوابها في الليل وتنزل خيراتها وبركاتها وأنوارها وأسرارها على أهلها، وجدير بالمؤمن أن يكون له نصيب منها، فليتعرض لها بأن يقوم لله تعالى في الليل مصلياً قارئاً داعياً ....

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : [أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ][1] أي: أيقظوا بقية النساء الطاهرات لينلن حظاً وافراً من تلك الخيرات والرحمات الإلهية النازلة .

قوله صلى الله عليه وسلم : [فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ] وفي رواية : [فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ][2].

---

[1] حُجر: جمع حجرة، وتجمع على حُجُرات أيضاً، سميت الغرفة حُجرة لأنه يُحجَر أي يُمنَع الإنسان من دخولها إلا بإذن صاحبها، وكذلك البيت أيضاً فيُحجر على الإنسان أن يدخله إلا بإذن صاحبه .اهـ
انظر تفسير النيسابوري ١٥٩/٦ وتفسير البغوي ٣٣٧/٧ عند الكلام على تفسير سورة الحجرات

[2] كما في صحيح ابن حبان

والمعنى : رُبَّ نفس كاسية في الدنيا عارية في الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر :[أَلا يَا رُبَّ نَفْسٍ طَاعِمَة نَاعِمَة فِي الدُّنْيَا، جَائِعَةٌ عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ][1].. الحديث ، والنفْس تطلق على نفس الرجل ونفس المرأة، فالرجل صاحب نفس، والمرأة صاحبة نفس، والرجل مذكر لكن نفسه مؤنثة ، والمرأة مؤنثة النفس ولكنها شخص يقال عنها: إنسان[2].

فقوله صلى الله عليه وسلم :[فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ] أي : رُبَّ نفس رجل أو امرأة كاسية في الدنيا بالألبسة الفاخرة لكنها عارية يوم القيامة لأن صاحبها لم يسع في تحصيل لباس الآخرة وهو تقوى الله تعالى ، فإذا كان الإنسان في الدنيا يسعى جاهداً من أجل أناقة لباسه لستر عورته ولكي يظهر جميلاً أمام الناس فعليه أيضاً أن لا يغفل عن تقوى الله تعالى ليكون له في الآخرة لباس يستره أمام الملائكة، وفي هذا يقول سبحانه : { يَا بَنِي آَدَمَ } ويشمل هذا ذرية سيدنا آدم عليه السلام كلهم إلى يوم القيامة {قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ} أي يستر عوراتكم {وَرِيشًا} أي : أثاثاً لبيوتكم {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} أي : فلا تهملوا لباس التقوى لأنه لا بد لكم منه لستر عوراتكم في الآخرة، وإذا كانت ألبسة الدنيا تستر عورات الإنسان أمام عدد من الناس فإن من فقدَ لباس التقوى فضحه الله تعالى أمام الخلائق كلهم.

واعلم أيها المؤمن العاقل أن الله تعالى قد تعهد ذرية آدم عليه السلام تعهدهم بالهداية، وذلك لما أهبط آدم وزوجه وذريته إلى الأرض ، وفي هذا يقول سبحانه: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى} أي فإن يأتكم مني هدى فيه صلاح أمر دنياكم وآخرتكم ، وفيه بيان ما ينصركم في الدنيا وفي الآخرة وما يسعدكم في الدنيا والآخرة

{فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} لأنهم أعرضوا عن هدي الله تعالى الذي هداهم إليه بواسطة الرسل عليهم السلام.

---

[1] انظره في شعب الإيمان للبيهقي ومعرفة الصحابة لأبي نعيم

[2] وتطلق كلمة "إنسان" على الذكر والأنثى، ويقال عن الأنثى :"إنسانة" ولكنها لغة رديئة عند العرب .

وقال جل وعلا : {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ} أي في الدنيا {وَلَا يَشْقَى} أي في الآخرة، بل يكون على هدى وسعادة في الدنيا وفي الآخرة {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} أي معيشة ضنكاً في الدنيا {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} ... الآيات

وإذا قيل: لقد عثروا في أبحاثهم في مجال الآثار على إنسان متحجر أو متجمد من العهد القديم، ووجدوه إنساناً وحشياً - على زعمهم - طويل الأظافر والشعر إلى غير ذلك .... فيقال: إن هذا الذي عثروا عليه - إن صح زعمهم - إنما هو من كفار الأمم السابقة الذين لم يستجيبوا لدعوة رسلهم ولم يعملوا بهديهم، لأن الشرائع الإلهية التي جاء بها الرسل عليهم السلام من لدن سيدنا آدم إلى خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي متفقة في أصول الفطرة الإنسانية والآداب والأخلاق التي بها جمال الإنسان وكمال صورته الآدمية، ومنها قص الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة والختان وغيرها ....

فائدة : اعلم أن الله تعالى خلق الخلق وأرسل فيهم رسلاً وشرع لهم شرائع فيها مصالحهم ومنافعهم وسعادتهم في الدنيا وفي الآخرة، وإن جميع الشرائع الإلهية متفقة فيما جاءت به من الأصول الدينية لقوله تعالى : { إن الدين عند الله الإسلام } واشتملت على عقائد إيمانية وأعمال جارحية وأحوال قلبية إحسانية لأن الدين هو إيمان وإسلام وإحسان كما بين صلى الله عليه وسلم في قوله : [فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ][1] وذكر الإيمان والإسلام والإحسان ، وفي هذا يقول الله تعالى أيضاً : { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه } ولذلك نجد أن كل الأديان تدعو إلى وحدانية الله تعالى وإلى الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والقضاء والقدر وكلها تدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإلى الصلاة والزكاة والصيام والحج ،

[1] طرف حديث في صحيح مسلم عندما سأل جبريل عليه السلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان

قال تعالى مخبراً عن عيسى ابن مريم عليه السلام قوله : { وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً } وقال جل وعلا مخبراً عن إسماعيل عليه السلام: { وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة } وقال جل جلاله : {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم } .

وجميع الرسل عليهم السلام جاؤوا يدعون إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل رسول أخذ الله عليه العهد أن يؤمن بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن يناصره ويتبعه إذا أدركه وأن يأخذ العهد على قومه كذلك، قال عز من قائل :

{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} الآيات ..

إلا أن الأحكام الشرعية في الرسالات الإلهية تختلف باختلاف الأمم على حسب ما يصلح شأنهم وما يكون به سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة وهذا راجع لعلم الله تعالى وحكمته بخلقه، قال تعالى: { ألا يعلم من خلق}، وقال عز وجل: { ألا له الخلق والأمر } فالخالق هو الذي خلق الخلق وهو أعلم بما يصلح أمرهم فشرع لهم من الشرائع ما فيه صلاحهم،

فترى أن الصلاة والزكاة والصيام وبعض الأحكام متفق عليها لكنها تختلف بالمقادير والكميات وقد جمعها صاحب الجوهرة[1] بقوله:

وحفظ دينٍ ثم نفسٍ مال نسب ومثلُها عقلٌ وعِرضٌ قد وجب

[1] (جوهرة التوحيد) أحد أهم متون علم العقيدة والكلام عند أهل السنة والجماعة , والمتن عبارة عن منظومة شعرية تتألف من ١٤٤ بيتاً لمؤلفه إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي بن عبد القدوس بن الولي الشهير محمد بن هارون اللقّاني المالكي المصري , لقبه : برهان الدين ,وكنيته: أبو الإمداد، وأبو إسحاق. واللقاني نسبة إلى لقانة -قرية من قرى مصر -.

وأجمع هدي وأعظم هدي جاء به نبي إنما هو هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان كثيراً ما يقول في فاتحة خطبه الشريفة : [أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ] وذلك لأن الله تعالى أرسله إلى كافة الخلق وجميع الأمم.

وإن هدي الرسل قبْله صلى الله عليه وسلم إنما هو لإصلاح أممهم، أما هديه صلى الله عليه وسلم فهو أعم وأجمع، وقد قال صلى الله عليه وسلم : [والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني][1] لأن هدي سيدنا موسى عليه السلام يصلح في زمنه لبني إسرائيل والأقباط فقط، أما هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الهدي الجامع، وقد قال تعالى : { إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } أي إنما أنت منذر وهاد لكل قوم، وقال جل جلاله : {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً} وقال جل وعلا : {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً } ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من خاصة أتباعه صلى الله عليه وسلم. آمين

فقوله سبحانه : { يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم} يشمل ذرية آدم كلهم فلقد تعهدهم الله تعالى بما فيه جمالهم وكمال صورتهم الآدمية، ومن ذلك أن علَّمهم صنع اللباس الذي يسترون به عوراتهم ويتجملون به أيضاً ، فكما يهتم الإنسان بنفسه أن يكون كاسياً ومرتدياً اللباس الفاخر وعليه صفة الكمال والجمال فيجب عليه أن يهتم أيضاً بلباس الآخرة ألا وهو تقوى الله تعالى، وهذا قوله سبحانه : { يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} أي إن لباس التقوى خير من لباس الدنيا وأبقى ..

[1] مصنف ابن أبي شيبة كتاب الأدب والحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل برواية : [لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حَلَّ له إلا أن يتبعني]

وقد جاء في الحديث الذي رواه البيهقي في الشُّعَب عنه صلى الله عليه وسلم:[ألا يا رُبَّ نفس طاعمة ناعمة[١] في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة[٢]، ألا يا رُبَّ نفس جائعة عارية[٣] في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة[٤] ، ألا يا رُبَّ مكرم لنفسه وهو لها مهين[٥]، ألا يا رُبَّ مهين لنفسه [٦]وهو لها مكرم [٧]...] الحديث

وقد ذم الله سبحانه الكافرين الذي أعطوا أنفسهم شهواتها ونالوا من الدنيا ما يتمنون ، قال عز من قائل : {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ[٨] بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}.

وأما المؤمن فشأنه إذا نال من الطيبات التي أحلها الله تعالى له أن يحمد الله عليه ويشكره وأن يقوم بحق الله في ماله من زكاة وصدقة وفعل للخيرات.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة][٩].

---

[١] أي مشغولة بلذّات المطاعم والملابس غافلة عن أعمال الآخرة

[٢] أي تحشر جائعة عارية يوم الموقف الأعظم

[٣] أي لا يجد صاحبها من القوت إلا ما يسد رمقه ولا يجد من اللباس إلا ما يستر عورته وبعض جسده وذلك لفقره وزهده في الدنيا

[٤] وذلك بسبب طاعتها مولاها

[٥] أي لأنه أعطى نفسه شهواتها في الدنيا فعرضها لعذاب الله في الآخرة

[٦] أي يتعبها في عبادة الله وطاعته سبحانه .

[٧] يوم العرض الأكبر لسعيه لها فيما يوصلها إلى السعادة الدائمة الأبدية والراحة المتصلة السرمدية. اهـ فيض القدير للمناوي ١٥٠/٣

[٨] الذُّل والصَّغار

[٩] سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها

وكم يُتعب الإنسان جسمه وفكره لتحصيل أمور الدنيا ظناً منه أنه سينعم ويترفه بها ولكنه لتحصيل أسباب السعادة الآخرة كسول متقاعس ، وقد قال سبحانه : {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ[1] لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ، وقال جل وعز : { بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى } .

وقد قال صلى الله عليه وسلم: [ألا وإن عمل أهل الجنة حَزَن بربوة ، ألا وإن عمل النار سهل بسهوة][2] والحَزَن هو الطريق الصعب الشاق والربوة هي المكان المرتفع من الأرض مما يدل على أن طريق الجنة يحتاج إلى مخالفة النفس لشهواتها وإيقافها عند حدود الله تعالى والعمل بطاعته سبحانه، كما أن الطريق الموصل إلى النار - والعياذ بالله تعالى - طريق سهل لأنه طريق اتباع الشهوات والمحرمات وهو طريق مائل إلى أرض منخفضة لا صعوبة في الوصول إليه ..

ولما سأل رجل أبا هريرة رضي الله عنه عن التقوى قال له : هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال : نعم ، قال : فكيف صنعت؟ قال : إذا رأيت الشوك عدلت عنه ، أو جاوزته ، أو قصرت عنه[3] ، قال : ذاك التقوى[4] .

أي توقي محارم الله والابتعاد عن الوقوع فيها والسير حسب أمره وطاعته سبحانه.

ولما سأل معاذ بن جبل رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:[يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ قَالَ صلى الله عليه وسلم:لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ] أي عن أمر كبير [وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ...] الحديث

---

[1] أي الحياة الحقيقية الأبدية

[2] طرف حديث في شعب الإيمان للبيهقي

[3] أي : كنت أرفع ثيابي وأنظر كيف أمشي وأين أضع قدمي كي لا تزل قدمي أو يصيبني شوك

[4] قال الحافظ السيوطي في الدر المنثور : وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى عن أبي هريرة... وذكر الحديث

فمن استهان بالجنة فقد استحقر ما عظمه الله تعالى وعظمه رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، واستصغر ما جعله الله ثواباً لرسله وأنبيائه وأهل طاعته ..

ولا يستهين بالجنة إلا جاهل أحمق لا يدري ما أعد الله تعالى في الجنة من ألوان النعيم الحسية والمعنوية والقلبية والفكرية ، ومن ذلك تجليات رب العالمين على أهل الجنة ومشاهدتهم من أنواره وأسراره جل وعلا ، وما أنعم الله عليهم من مجالسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقوله صلى الله عليه وسلم: [سُبْحَانَ الله، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنْ الْخَزَائِنِ] يدل على أن هناك خزائن تُفتح كل ليلة وتَنزل رحماتها وبركاتها وخيراتها على من قام الليل وتعرض لها لينال الحظ الوافر منها، وهذا يدلك على فضل قيام الليل والصلاة لله تعالى فيه والدعاء والتوجه إليه سبحانه.

واعلم أن لله تعالى خزائن لا تنفد كما قال تعالى : { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ}، وهو سبحانه يفتح كل ليلة من هذه الخزائن ما فيه خيرات وبركات لعباده ، فمن تعرض لها نال من خيراتها وأنوارها، ومن لم يتعرض لها فقد حرم نفسه خيراً كثيراً، لأن تنزّل الرحمة والخيرات الإلهية مستمر على العباد، وكما لا بد للأرزاق الحسية المادية الجسمية من تنزلات مستمرة كإرسال الرياح ونزول الأمطار فكذلك الأرزاق المعنوية الإيمانية الروحية لا بد لها من تنزلات متواصلة، يقول جل وعلا :

{ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ} أي وما من شيء { إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ } أي حسب ما يقتضيه علم الله وحكمته سبحانه.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في فضل قيام الليل :

[ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا[1] حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له][2].

وفي رواية ثم يقول سبحانه : [من يُقرِض غير عَديم[3] ولا ظَلوم] [4].

كما أن هناك لله تعالى خزائن تُفتح في النهار لما جاء عنه صلى الله عليه وسلم :[إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ:" أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ"، ثُمَّ إِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ] مما يدل على أن لكل يوم خيره وبركته وما ينزل فيه من الأسرار والأنوار ، وجدير بالمؤمن أن يحرص كل الحرص على أن ينال حظاً وافراً من الخيرات الإلهية التي تنزل كل يوم وكل ليلة على من قصدها واستنزلها.
ونسأل الله تعالى التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: [ينزل ربنا] أي تتنزل أنواره ورحماته تبارك وتعالى ، وليس المراد نزول انتقال ، لأن الله تعالى منزه عن المكان إذ كان ولا مكان ، ثم خلق الزمان والمكان ، وهو جل وعلا غني عن المكان، ولا يحويه مكان ولا زمان سبحانه وتعالى ، وإنما خلق سبحانه الأشياء والأمكنة والسماوات والأرضين لتكون من مظاهر ملكه ومن الدلائل على سلطان ربوبيته .
ولا تفهم أيها الإنسان من كل نزول نزول انتقال وتحول فأنت تقول:" نزلت الشمس في فناء داري " إذا أشرق نورها في الدار ، وليس مرادك أن عين الشمس انتقلت إلى دارك واستقرت فيها ، فمعنى النزول هنا الظهور ، فظهرت أنوار الشمس في الدار لما ارتفعت الحجب من باب أو نافذة أو ستار .
ومن دون تشبيه فهناك لله تعالى أنوار تنزل إلى السماء الدنيا في جوف الليل الآخر لأنه سبحانه يرفع حجباً وحجباً حتى تظهر أنواره إلى السماء الدنيا.

[2] صحيح البخاري كتاب الجمعة

[3] قال الإمام النووي في شرحه صحيح مسلم : قال أهل اللغة : يقال أعدم الرجل إذا افتقر فهو معدم وعديم وعدوم.اهـ ٩٩/٣

[4] طرف حديث في صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها

المحاضرة الثانية بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، وأفضل الصَّلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :
باب ما جاء في قول الله تعالى:

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}

ثم أورد بسنده إلى طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:[قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ].

وأورد بسنده أيضاً إلى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُرَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:[يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي].

وأورد بسنده أيضاً إلى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي].

ثم قال رحمه الله: بَاب مَا جَاءَ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }

ثم أورد بسنده إلى مُحَمَّد بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ

فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ فَقَالَتْ: [يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبْ الْأَرْضَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ][1].اهـ

لقد أورد الإمام البخاري رضي الله عنه في هذا الباب عدَّة أحاديث تدل على حدوث هذا العالم وأنَّه ليس قديماً ، وأن الله تعالى أوجده بعد عدم ، وأن القديم بالقِدم الذاتي الوجودي الذي لا أول له هو الله تعالى وحده، وكل العوالم خلقها الله تعالى بعد عدم، ولها أول ولها انتهاء.

وإن من جملة معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامه هذا المقام في الصحابة الكرام رضي الله عنهم يحدِّثهم عن المغيَّبات الماضية والآتية فحدَّثهم عن بدء الخليقة ، ثم عن خلق بني آدم عليه السلام وما سيجري عليهم إلى يوم القيامة، ثم عما سيجري عليهم في برازخ الآخرة إلى أن دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم .

وقد اشتمل قيامه هذا صلى الله عليه وسلم على عدة معجزات :

منها : إخباره صلى الله عليه وسلم عن الأمور الغيبيَّة الماضية والآتية ، واتساع الزمن الذي قام فيه صلى الله عليه وسلم خطيباً في الصحابة لحديثه الشامل الذي استقصى ذكر كل شيء منذ خلق الله تعالى العالم إلى قيام الساعة إلى أن دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، وقد جاء في روايات لهذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قام في الصحابة خطيباً من أول النهار إلى غروب الشمس[2]،

---

[1] انظر صحيح البخاري كتاب بدء الخلق

[2] كما جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال :[صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا].

ومن الروايات ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قام فيهم خطيباً عقب صلاة العصر إلى غروب الشمس[1] لكن الظاهر هو الأول لرواية مسلم المتقدم ذكرها آنفاً.

ومن المعجزات التي ظهرت في خطبته صلى الله عليه وسلم : أنه أوتي جوامع الكلم بحيث إنه صلى الله عليه وسلم حدّث الصحابة عن بدء الخلق إلى أن دخل الناس أحد دارَي البقاء والخلود : الجنة والنار ، كل ذلك في زمن محدود لكن الله تعالى مدده وبارك فيه بحيث اتَّسع لخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجامعة الشاملة لكل شيء .

كما أن ثباته صلى الله عليه وسلم في الخطبة هذا الزمن الطويل من أول النهار إلى غروب الشمس يدل على عظيم قوته صلى الله عليه وسلم وإمداد الله تعالى له إذ إنه صلى الله عليه وسلم لم يتعب ولم يفتر ، بل كان صلى الله عليه وسلم ينزل للصلاة فقط .

كما أن الله تعالى أكرم الصحابة الكرام بسبب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاهم الصبر وقوة التحمل والثبات لسماع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم طول هذه المدة دون أن يمل أحدهم أو يسأم أو يحتاج لقضاء حاجة .

واعلم أنه سبحانه عالم الغيب والشهادة بالعلم المطلق ولا يُظهر على غيبه أحداً إلا من شاء بما يشاء ، قال تعالى : { قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله } وهذا هو العلم الذاتي المطلق ، ولكنه سبحانه قد يُطلع من شاء على بعض المُغيَّبات كما قال سبحانه : { عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول } ..الآية

---

[1] كما في سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: [صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا صَلَاةَ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ].... الحديث

ولكل رسولٍ لله حظ من العلم بالمغيبات ، وأعظمهم إظهاراً واطلاعاً هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم الخبرية العلميَّة.

وإن القديم الذي لا أول له هو الله تعالى وحده ، كما قال صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه جل وعلا : [اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ][1] وكل ما سوى الله تعالى من موجود فهو بخلق الله تعالى وإيجاده،

فالله سبحانه وتعالى حق واجب الوجود ، وأما ما سواه فهو ممكن الوجود ، وإذا قيل: إن الله تعالى موجود[2] فالمعنى أنه سبحانه متصف بالوجود ، ولا يذهب فكرك من كلمة (موجود) على أنها اسم مفعول إلى تصور ما لا يليق في حق الله تعالى ، وأما اسم المفعول من فعل (أوجد) فهو موجَد بفتح الجيم .
وهو سبحانه موجود أي متصف بالوجود ، ولا موجِد له ولا خالق له ، بل هو تبارك وتعالى خالق كل شيء .

وفرق كبير بين الوجود الحق الذي هو لله تعالى وحده ، وبين الوجود الإمكاني ، فالله تعالى واجب الوجود ، أما ما سواه من الموجودات فهي ممكنة الوجود بمعنى أنها موجودة بإيجاد الله تعالى إياها ، وأن لوجودها أولاً وانتهاء ، أما وجوده سبحانه الواجب فهو بمعنى أنه لا أول لوجوده جل جلاله ولا انتهاء .

كما أن وجوده جل وعزَّ ذاتي له بمعنى أنه لم يوجَد من غيره ، أما ما سوى الله تعالى من كل شيء موجود فهو موجود بإيجاد الله تعالى وخلقه، ولم يتملَّك صفة الوجود التي أعطاه الله تعالى إياها ، ولو أنه سبحانه قطع عن المخلوق مدد الوجود لرجع إلى العدم .

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين .

---

[1] طرف حديث في صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.
[2] جاء في تفسير الإمام الرازي ٢٩٧/١٧ قوله رحمه الله ورضي عنه :
(الله هو الموجود الذي يفتقر إليه ما عداه) .

المحاضرة الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب ذِكر الملائكة

وقال أنس رضي الله عنه : قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم : إن جبريل عليه السلام عدو اليهود من الملائكة .
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: { وإنا لنحن الصافون } يعني الملائكة.

ثم أورد بسنده إلى مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنْ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ ، دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ ، الْبُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جِبْرِيلُ

قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِن ابْنٍ وَنَبِيٍّ

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جِبْرِيلُ

قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ

فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قال: جِبْرِيلُ

قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟

قال: مُحَمَّدٌ

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ

فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جِبْرِيلُ

قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟

قال: مُحَمَّدٌ

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قال: نَعَمْ

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ

فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جِبْرِيلُ

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قال: مُحَمَّدٌ

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ

فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ

فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قال: جِبْرِيلُ

قِيلَ: ومَنْ مَعَكَ؟

قال: مُحَمَّدٌ

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ

قيل : مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ

فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ

فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى، فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ ؟ قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قال: جِبْرِيلُ

قِيلَ: ومَنْ مَعَكَ؟

قال: مُحَمَّدٌ

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قال : نعم

قيل : مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ

فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِن ابْنٍ وَنَبِيٍّ

فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ ، نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟

قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ ثُمَّ ثَلَاثِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عِشْرِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا ، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: جَعَلَهَا خَمْسًا، فَقَالَ مِثْلَهُ، قُلْتُ: سلمت بِخَيْرٍ، فَنُودِيَ: إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي ، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي ، وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا][1].اهـ

أراد الإمام البخاري رضي الله عنه الاستدلال بهذا الحديث على وجود الملائكة الذين رآهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج ، وكذلك الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور وغيرهم .

[1] صحيح البخاري كتاب بدء الخلق

وإن الإيمان بوجود الملائكة عليهم السلام ركن من أركان الإيمان الاعتقادي ، كما قال تعالى : { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} .

وقال سبحانه في تلقين المؤمنين أركان الإيمان : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير }

ومن أنكر وجود الملائكة فهو كافر خارج عن الإيمان .

أما تعريف [1] الملائكة عليهم السلام فهم أجساد لطيفة نورانية [2]، قامت بها أرواح علوية ربانية، قادرة على التشكل بأجسام مختلفة بأمر الله تعالى، ولا تتصف الملائكة بذكورة ولا أنوثة[3]، ولا يجري عليهم التناكح والتناسل والأكل والشرب ، بل يخلق الله تعالى طوائف الملائكة بقوله جل وعلا { كن } .

أما بنو آدم عليه السلام فهم أجسام ترابية [4] كثيفة ، قامت بها أرواح أمرية علوية [5] ، ومنهم الذكر والأنثى ، ويجري عليهم التناكح والتناسل والأكل والشرب ، وكون الآدمي كثيفاً يعني أن له حجماً وحيّزاً يشغله ، ويمس جسمه ويحس .

---

[1] وتعريف الشيء وحَدُّهُ: بيان حقيقته .

[2] أي مخلوقة من نور .

[3] وهناك كثير من العوالم خلقها الله تعالى لا تتصف بذكورة ولا أنوثة كالهواء والأحجار مثلاً .

[4] أي مخلوقة من تراب .

[5] وفي هذا يقول سبحانه :{ ويسألونك عن الروح } أي عن الروح الإنساني { قل الروح من أمر ربي } أي من عالم الأمر الرباني .

أما الجن فهم أجساد لطيفة نارية - أي مخلوقة من نار - قامت بها أرواح علوية، ومنهم الذكر والأنثى ، ويجري عليهم التناكح والتوالد والأكل والشرب ، لكن على وجه يناسب نشأهم وخلقتهم .

فالملائكة عليهم السلام أجسام لطيفة نورانية ، لا تَشغَل حيِّزاً ولا تحتل مكاناً ، فلا تتزاحم في المكان وإن كان ضيَّقاً ، كما لا تتزاحم الأنوار إذا سُلِّطت إلى مكان ضيق مهما كثرت .

وفي الحديث الذي رواه الطبراني وغيره عَنْ سيدنا جَابِرِ بن عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلا شِبْرٍ وَلا كَفٍّ إِلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالُوا جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، إِلا أَنَّا لَمْ نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا][1].

روى الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ] أي صدر لها صوت [مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ عَلَى - أَوْ إِلَى - الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ]قَالَ: فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ][2]

فاتسع الملك بجسمه النوراني في موضع أربع أصابع وذلك للطافته .

وإن خلق عالم الملائكة سابق على خلق عالمَي الجن[3]والإنس ، ولا سيما الملائكة الأربعة وحملة العرش ومَن حول العرش ، إذ إن خلقهم متقدم على خلق الجنة والنار والسماوات والأرض، يدل على هذا ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

---

[1] انظر الحديث في المعجم الأوسط والكبير للطبراني ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٠٥٣٩ وسنن الترمذي كتاب الزهد

[3] وعالم الجن سابق في الوجود على عالم الإنسان .

[لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا] وهذا يدل على أن جبريل عليه السلام مخلوق قبل خلق الجنة [قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ] أي بالتكاليف الشرعية التي تكرهها بعض النفوس وتستثقلها، فلا يدخل الجنة أحد إلا بعد أن يقتحم عقبة التكاليف الشرعية ، وذلك بالتحقق بأوامر الله تعالى واجتناب ما نهى عنه [فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ]

- أي فليس دخول الجنة أمراً سهلاً يحصل بالأماني ، وإنما ينال بتقوى الله تعالى والعمل الصالح كما قال تعالى : {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وقد قال صلى الله عليه وسلم : [ألا إن سِلعة الله غالية ، ألا إن سِلعة الله الجنة][1] -

[قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا[2]، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ] أي بالشهوات المحرمة [فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا] [3].

أي لأن كثيراً من بني آدم يتبعون شهواتهم المحرمة ، وهي شهوات الفُروج التي توقع في الحرام ، وشهوات البطون التي تؤدي إلى أكل الحرام كالربا والغش والغَصْب والظلم ونحو ذلك ، وكل ذلك يؤدي بهم إلى النار.

---

[1] طرف حديث في سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع

[2] أي إن النار طبقات مجموعة بعضها فوق بعض ، جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة : ركِب الشَّحْمُ بعضُه فوق بعض: تجمّع الدُّهن في جسمه

[3] سنن الترمذي كتاب صفة الجنة وسنن أبي داود كتاب السنة وسنن النسائي كتاب الإيمان والنذور

ومما يدل أيضاً على أن حملة العرش ومن حوله مخلوقون قبل خلق السماوات والأرض والجنة والنار : ما رواه الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام:[مَا لِي لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟ قَالَ: مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ] يعني أن سيدنا ميكائيل عليه السلام مخلوق قبل أن يخلق الله تعالى النار، فلما خلقها سبحانه ورأى ميكائيل عليه السلام جحيمها وعذابها - وهي مظهر غضب الله تعالى وسخطه - لم يعد عليه السلام يتبسَّم بل أخذته المهابة والخشية .

وعالم الملائكة عالم نوراني لطيف غيبي لذلك لا يراهم أحد إلا بتخصيص من الله تعالى كالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد يرى بعض الأولياء رضي الله عنهم بعض الملائكة عليهم السلام على سبيل الكرامة ، ولقد كان الصحابي الجليل سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنه يرى الملائكة ويسمع كلامهم ويردُّ عليهم السلام ، ولما اكتوى بالنار بسبب مرضه احتجبت عنه الملائكة ، ولما ترك الكيَّ عادت إليه[1] .

---

[1] روى الإمام مسلم في صحيحه عن مطرف رحمه الله تعالى قال : قال لي عمران بن حصين: (أحدثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به : - وكان فيما قاله له -:
وقد كان يسلَّم علي ، حتى اكتويت ، فتُركت ، ثم تركت الكي فعاد.
وروى الطبراني في المعجم الكبير عَنْ قَتَادَةَ رحمه الله تعالى أَنَّ الْمَلائِكَةَ كَانَتْ تُصَافِحُ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ حَتَّى اكْتَوَى.
وجاء في شرح النووي صحيح مسلم ٣٢٦/٤ :
قوله : (يسلَّم علي) هو بفتح اللام المشددة ، وقوله : (فتُركت) هو بضم التاء أي انقطع السلام علي ، ثم تَرَكت بفتح التاء أي تركت الكي فعاد السلام علي .
ومعنى الحديث أن عمران بن الحصين رضي الله عنه كانت به بواسير فكان يصبر على المهمات وكانت الملائكة تسلم عليه ، فاكتوى فانقطع سلامهم عليه ، ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه .
وقال صاحب عون المعبود ٣٨٥/٨ :
(نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكي) قال ابن رسلان : هذه الرواية فيها إشارة إلى أنه يباح الكي عند الضرورة بالابتلاء بالأمراض المزمنة التي لا ينجع فيها إلا الكي ويخاف الهلاك عند تركه ، ألا تراه كوى سعداً لمّا لم ينقطع الدم من جرحه وخاف عليه الهلاك من كثرة خروجه كما يكوي من تقطع يده أو رجله ، ونهى عمران بن حصين عن الكي لأنه كان به باسور وكان موضعه خطراً فنهاه عن كيه =

وقد كشف الله تعالى لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فرأى مرة جبريل عليه السلام وهو يناجي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن من كان حاضراً وقتئذ من الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يَرَ ما رآه ابن عباس رضي الله عنهما[1] .

أما إذا تمثل الملك بصورة محسوسة فيراه الناس عندئذٍ كما كان جبريل عليه السلام يتمثل أحياناً بصورة أعرابي[2] أو بصورة الصحابي الجليل دِحية بن خَليفة الكلبي[3]رضي الله عنه فيراه الصحابة ويسمعون صوته .

ومن زعم أن لا وجود للملائكة عليهم السلام لأنه لا يراهم ولا يسمعهم فيقال له : إن وجود الأشياء لا يتوقف على رؤيتك أو رؤية أمثالك ، وإذا كنت لا تثبت وجود الأشياء إلا برؤيتها لأنكرت كثيراً من اليقينيَّات المُسلَّم بوجودها كالهواء مثلاً والعقل والروح الإنساني ،

= فتعين أن يكون النهي خاصاً بمن به مرض مخوف ، ولأن العرب كانوا يرون أن الشافي لما لا شفاء له بالدواء هو الكي ويعتقدون أن من لم يفعل بالكي هلك ، فنهاهم عنه لأجل هذه النية فإن الله تعالى هو الشافي .
قال ابن قتيبة : الكي جنسان: كيّ الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه [لم يتوكل من اكتوى] لأنه يريد أن يدفع القدر عن نفسه ، والثاني كي الجرح إذا لم ينقطع دمه بإحراق ولا غيره والعضو إذا قطع ففي هذا الشفاء بتقدير الله تعالى .
وأما إذا كان الكي للتداوي الذي يجوز أن ينجح ويجوز أن لا ينجح فإنه إلى الكراهة أقرب. اهـ

[1] كما روى الإمام أحمد في مسنده أن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء ومعه ابنه عبد الله رضي الله عنهما إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عبدُ الله بن عباس عند النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يناجيه ثم رجع العباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ كَانَ عِنْدَكَ أَحَدٌ ؟ فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَخْبَرَنِي أَنَّ عِنْدَكَ رَجُلًا تُنَاجِيهِ ، قَالَ صلى الله عليه وسلم : هَلْ رَأَيْتَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ جِبْرِيلُ وَهُوَ الَّذِي شَغَلَنِي عَنْكَ.

[2] كما في الحديث المشهور الذي قال في أوله سيدنا عمر رضي الله عنه : (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد ...) وكان سيدنا جبريل عليه السلام

[3] روى الإمام أحمد في مسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ

فإن عينيك لا ترى عين الهواء مع أنه لا يسعك إنكار وجوده بدليل آثاره كتحريك الأشجار ، وتمويج البحار ، وإثارة الغُبار ...

ومن زعم أنه يرى الهواء بما يراه من صَفار أو احمِرار فيُقال : ما تراه ليس هو عين الهواء ، ولكن هذا ما حمله الهواء من غُبار فتلوّن بلونها ، فافهم .

وإن عقل الآدمي لا يراه الإنسان بعينه مع أنه يثبت وجوده للعاقل ، ويفرِّق به بين العاقل والمجنون الذي لا عقل له .

وهكذا لا يرى الإنسان روحه التي إذا فقدها جسمه مات وتعطَّلت مداركه وحواسه وقواه ، ويفرِّق بين الإنسان الحي الذي يحيا بروحه التي بين جنبيه ، وبين الميت الذي توفى الله روحه ولا حِراك لجسمه .

وهكذا خلق الله تعالى الملائكة وأخبر عن وجودهم وأقام البراهين والأدلة العقلية على ذلك ، وأنهم عالم حقيقي خَلَقهم الله تعالى لعبادته وتنفيذ أوامره جل وعلا ، وهم على أصناف ، ولكلٍّ منهم مهمته ووظيفته التي خلقه الله تعالى لها .

ومن الملائكة من يُجنِّدهم الله تعالى لنُصرة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، ونُصرة المؤمنين في نشر دين الله تعالى ، فمن ذلك :

ما أخبر الله سبحانه أنه أيَّد رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر، أيدهم بخمسة آلاف من الملائكة يقاتلون معهم وينصرونهم[1] ، فقال تعالى : { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} ، وقال عز من قائل : { بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ}.
وكذلك يوم غزوة الخندق يوم تجمَّعت أحزاب المشركين لقتال المؤمنين، فأرسل الله تعالى عليهم ريحاً وجنوداً من الملائكة لم يرَوها ، حتى اقتلَعت خِيامهم وفرقت جُموعهم وألقت الرعب في قلوبهم وولَّوا مدبرين،

---

[1] جاء في تفسير ابن أبي حاتم ٤٧٣/١٤ : عن قتادة رحمه الله تعالى في قوله تعالى : (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) قال :وذلك يوم بدر ، أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة.

وفي هذا يقول سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}[1] .

ومِن الملائكة مَن وكَّلهم الله تعالى بحفظ الإنسان من المخاطر والمهالك التي تعرِض له ، وكل ذلك بأمر الله تعالى و مشيئته على مقتضى علمه وحكمته سبحانه ، قال تعالى : { له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله } أي يحفظون بني آدم من أمر الله تعالى ، أي من أجل أن الله تعالى أمرهم أن يحفظوا هذا الإنسان فحفظوه ودفعوا عنه الضرر والأذى[2] .

ومن الملائكة من سخرهم الله تعالى لتسيير السُّحب والرياح حسب أوامر الله تعالى لهم ، وقد قال الله تعالى في الملائكة : {فالمدبرات أمراً }[3] وهم صنف من الملائكة يقومون بتدبير أوامر الله تعالى في المخلوقات وسائر الأكوان ، ومن ذلك نفخ الروح في الجنين وهو في بطن أمه وتصويره وتطوير خلقه ، فهم يباشرون الأمور عن أمر الله تعالى[4] .

وإن أفضل الملائكة عليهم السلام هو جبريل عليه السلام ، وقد أرسله الله تعالى ليلة الإسراء والمعراج إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى حضرته جل وعلا، فصحبه جبريل عليه السلام ،

---

[1] جاء في تفسير الطبري ٢١٤/٢٠ : يقول تعالى ذِكره: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق.

[2] قال الألوسي في تفسيره ٢١٤/٩ : { لَهُ معقبات مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله } أي يحفظونه من المضار بسبب أمر الله تعالى لهم بذلك

[3] جاء في تفسير الطبري ١٩٠/٢٤: قوله تعالى :(فالمدبرات أمراً) يقول: فالملائكة المدبرة ما أُمِرت به من أمر الله.

[4] وارجع أيها القارئ الكريم إلى كتاب (الإيمان بالملائكة عليهم السلام) للشيخ الإمام رضي الله عنه تجد البحث في ذلك مفصلاً .

ولذلك كان جبريل عليه السلام لما يستفتح باب كل سماء تقول له خزنتها:

[مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جِبْرِيلُ

قِيلَ :مَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟]

أي وقد أرسل الله إليه يدعوه إلى حضرته سبحانه وتعالى؟ فيكون الجواب من جبريل عليه السلام :

[قَالَ: نَعَمْ

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ].

ويدل هذا أيضاً على فضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفِه وكرامته على الله تعالى ، وأنه أفضل من جبريل عليه السلام ، إذ إن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام إلى حبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يدعوه لحضرته ويصحبه في إسرائه ومعراجه ، ويستفتح له الأبواب، ويخبره ويجيبه عما يسأله عنه صلى الله عليه وسلم .

ويدل الحديث المتقدم أيضاً على أن للسماء أبواباً ، ولكل باب خزنته، ولا يمكن لأحد أن يدخل السماء إلا بإذن من الله تعالى ، وما كان هذا لأحد بالجسم والروح إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي خصَّه الله تعالى بذلك دون خلقه .

ولما كانت السماء سامية بعلوها ، وسامية بمعناها وقدسيتها ، كان لا يدخلها إلا مؤمن طاهر النفس طيب ، ولا يكون ذلك إلا لأرواح المؤمنين بعد وفاتهم ، وأما الكافرون فَتُرَدُّ أرواحهم بعد وفاتهم إلى أسفل سافلين ،

وقد قال سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} فإذا كانت أرواح الكفار ممنوعة ومحظوراً عليها دخول السماء بعد مماتهم فمن باب أولى أنهم لا يمكنهم دخول السماء بأجسامهم في الحياة الدنيا .

وقد تحدى الله تعالى الإنس والجن في ذلك وأثبت عجزهم ، فقال جل وعلا : { يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا} أي والحال لا تستطيعون ذلك لأنكم {لا تنفذون إلا بسلطان } أي بإذن من الله تعالى يمكِّنكم من ذلك .

ومن زعم أن المراد من السلطان في الآية هو العلم وتقدم مخترعات الإنسان ليعلو إلى السماء، فيقال له : هذا زعم باطل، فإن الله تعالى أثبت عجز الإنس والجن عن ذلك ، مع أن الجن يمكنهم الارتقاء بحكم لطافة نشأتهم دون استخدامهم لآلة أو مركبة !!

ومع ذلك فإنهم لا يستطيعون دخول السماء التي مُلئت حرساً شديداً وشهباً ، حتى إذا اقترب أحدهم من أبواب السماء لاسترق السمع من الملائكة ، قذفته الملائكة بالشهب ، فإما أن تحرقه أو يفر وينهزم ويأتي صاحبَه الكاهن ويخبره عن كلمة سمعها من الملائكة أو نصف كلمة ويزيد ويكذب ، كما جاء بيان ذلك عنه صلى الله عليه وسلم[1] .

---

[1] قال البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا
{ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا } لِلَّذِي قَالَ
{ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ- وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنْ السَّمَاءِ].

وقال تعالى : { إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} ، وقال سبحانه مخبراً عن بعض الجن قولهم : { وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا } ولا يكفي مجرد العلو لدخول السماء ، إذ إنها عالم كبير له أحكامه ، ولا يمكن لأحد أن يدخله إلا بإذن الله تعالى بعد أن يُعده وينشئه نشأة تليق بذلك العالم ، كما أعد الله تعالى سيدنا عيسى ابن مريم عليهما السلام لذلك لما رفعه إلى السماء الثانية ، ولو أن إنساناً حيّاً نزل قبراً فلا يعني هذا أنه دخل وأخذ حكم ونشأة أهل عالم البرزخ .

ومن ناحية أخرى فإن السماء سامية بعُلوها ومنزلتها ، وهي مسكن الملائكة والأرواح العالية من النبيين عليهم السلام والصديقين رضي الله عنهم ، فأي شرف لهم إذا كان الدخول عليهم يستطيعه كل إنسان إذا تقدم في علومه ومخترعاته ؟!

وإن جميع ما يراه الإنسان ويعلمه من الكواكب والنجوم هي دون السماء الأولى ، بدليل قوله تعالى : { ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير } ، وقوله عز من قائل : { وزينا السماء الدنيا بمصابيح }... الآية .

وبدليل أنه لما كانت السماء بالنسبة إلى الأرض سقفاً محفوظاً كما جاء في قوله تعالى : { وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون } فإن المصابيح والزِّينة تكون تحت السقف لا فوقه .

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج البيت المعمور ، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك يصلون فيه ، وإذا خرجوا من الباب الآخر لا يتيسر لهم الدخول مرة ثانية لأن النَّوبة لغيرهم[1] .

---

[1] تقدم في بداية المحاضرة قوله صلى الله عليه وسلم : [فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ..] الحديث أي: لا يعودون أبداً

والبيت المعمور هو قِبلة أهل السماء السابعة، كما أن بيت العّزة قبلة أهل السماء الأولى ، والكعبة المشرفة قبلة أهل الأرض .

وإن الكعبة المشرفة وبيت العزة والبيت المعمور على خط واحد ، بحيث لو قدر الله تعالى لأحد أن يصعد من سطح الكعبة ويدخل السماء الأولى لدخل بيت العزة مباشرة ، ولو ارتقى إلى السماء السابعة على نفس الخط لانتهى إلى البيت المعمور مباشرة[1]، ولذلك فإن المؤمنين لما يطوفون حول الكعبة المشرفة فهم يتشبَّهون بالملائكة عليهم السلام ، الذين يدخلون البيت المعمور ويحفونه ، وبالملائكة الذين يطوفون حول عرش الرحمن، قال جل وعلا: { وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين }. وسمي البيت المعمور بذلك لأن الملائكة تعمُره بعبادة الله تعالى والصلاة له سبحانه[2]، وقد رأى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم الخليل عليه السلام مسنِداً ظهره إلى البيت المعمور -كما جاء في رواية للحديث-[3] فهل هو عليه الصلاة والسلام مُسنِد ظهره إلى البيت المعمور ليسنُده أم ليستنِد إليه ؟

---

[1] قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٩٣/٩: وَأَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيق سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [الْبَيْت الْمَعْمُور مَسْجِد فِي السَّمَاء بِحِذَاءِ الْكَعْبَة لَوْ خَرَّ لَخَرَّ عَلَيْهَا ، يَدْخُلهُ سَبْعُونَ أَلْف مَلَك كُلّ يَوْم إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا] .
وَقَدْ رَوَى إِسْحَاق فِي مُسْنَده وَالطَّبَرِيُّ وَغَيْر وَاحِد مِنْ طَرِيق خَالِد بْن عُرْعُرَة عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ السَّقْف الْمَرْفُوع قَالَ : السَّمَاء ، وَعَنْ الْبَيْت الْمَعْمُور قَالَ : بَيْت فِي السَّمَاء بِحِيَالِ الْبَيْت، حُرْمَته فِي السَّمَاء كَحُرْمَةِ هَذَا فِي الْأَرْض.اهـ
وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أَنَّ فِي كُلِّ سَمَاءٍ بَيْتًا يُحَاذِي الْكَعْبَةَ وَكُلٌّ مِنْهَا مَعْمُورٌ بِالْمَلَائِكَةِ. اهـ ٤٦٢/١
وذكر أيضاً أن فِي كُلِّ سَمَاءٍ بَيْتًا مَعْمُورًا ، وَأَنَّ الَّذِي فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِيَالَ الْكَعْبَةِ.اهـ ١٩٧/٧

[2] قال العيني في عمدة القاري : وعمرانه كَثْرَة غاشيته من الْمَلَائِكَة .اهـ ١٢٨/١٥

[3] جاء في صحيح مسلم كتاب الإيمان قوله صلى الله عليه وسلم : [فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ].. الحديث

والحق يقال إنه عليه السلام يسند البيت المعمور الذي هو بيت الإيمان والتوحيد وعبادة الله تعالى ، وحُقَّ لمن أمَره الله تعالى أن يرفع قواعد البيت الحرام في الأرض - وهي الكعبة المشرفة لتكون للناس مثابة وأمناً - أي قِبلة ومرجعاً لهم في صلواتهم وحجِّهم - حُقَّ له عليه الصلاة والسلام أن يسند البيت المعمور في السماء السابعة ، أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو حبيب الله الأعظم وهو قلب البيت المعمور، وهو أفضل من البيت المعمور وأفضل خلق الله على الإطلاق[1] ...

---

[1] عقد النووي في شرح صحيح الإمام مسلم باباً:
(باب تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق) ثم قال:
قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع)
وهذا الحديث دليل لتفضيله صلى الله عليه وسلم على الخلق كلهم ؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة ، وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين وغيرهم... اهـ ٤٧٣/٧
وجاء في صحيح ابن حبان قول عمر رضي الله عنه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأنت رسول الله وصفوته...) الحديث
وجاء في تاج العروس : وصفوة الشئ ما صفا منه. اهـ
فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوة الله سبحانه من جميع خلقه
وقال ابن كثير في تفسيره : قال تعالى: { وأنزلنا إليك الذِّكر } يعني: القرآن { لتبين للناس ما نزل إليهم } من ربهم، أي: لعلمك بمعنى ما أنزل عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، ولِعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم... اهـ ٥٧٤/٤
وجاء في دلائل النبوة للبيهقي قول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (ما خلق الله خلقاً أحب إليه من محمد صلى الله عليه وسلم).
وفيها عَنْ بِشْرِ بْنِ شَغَافٍ الضَّبِّيِّ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: " إِنَّ أَعْظَمَ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَإِنَّ أَكْرَمَ خَلِيقَةِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم "، قُلْتُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، فَأَيْنَ الْمَلائِكَةُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَضَحِكَ، فَقَالَ: " يَا ابْنَ أَخِي !، وَهَلْ تَدْرِي مَا الْمَلائِكَةُ؟ إِنَّمَا الْمَلائِكَةُ خَلْقٌ كَخَلْقِ الأَرْضِ، وَخَلْقِ السَّمَاءِ، وَخَلْقِ السَّحَابِ، وَخَلْقِ الْجِبَالِ، وَخَلْقِ الرِّيَاحِ، وَسَائِرِ الْخَلائِقِ، وَإِنَّ أَكْرَمَ الْخَلائِقِ عَلَى اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم.
وقال الإمام شهاب الدين المقري التلمساني المتوفى سنة ١٠٤١ هـ في منظومته في العقيدة [إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة] :
وانعقد الاجماع أن المصطفى أفضل خلق الله، والخُلْف انتفى

وسئل مفتي المالكية في عصره أبو عبد الله محمد بن أحمد المشهور بالشيخ عليش المتوفى سنة ١٢٩٩هـ رحمه الله :
مَا تَقُولُ فِي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ أَفْضَلُ مِنْهُ؟
فَأَجَابَ بِمَا نَصُّهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ خَلْقِ اللَّهِ، أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ بَاقِي الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ، وَشَاعَتْ أَفْضَلِيَّتُهُ وَذَاعَتْ، وَصَارَتْ كَالْمَعْلُومَاتِ الضَّرُورِيَّةِ حَتَّى عِنْدَ الْعَوَامّ، فَإِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يَصْرُخُونَ بِهَا عَلَى الْمَآذِن لَيْلًا وَنَهَارًا وَصَبَاحًا وَمَسَاءً وَالْمَدَّاحِينَ كَذَلِكَ فِي الْأَزِقَّةِ وَالطُّرُقِ، وَدَلَائِلُ الْخَيْرَاتِ مَشْحُونَةٌ بِذَلِكَ وَنُسَخُهَا كَثِيرَةٌ، وَقِرَاءَتُهَا فِي مَسَاجِدِ الْجَمَاعَاتِ بِرَفْعِ الْأَصْوَاتِ شَهِيرَةٌ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ اعْتِقَادُهَا.
ثم قال: قَالَ الْبُرْهَانُ اللَّقَانِيُّ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ فِي جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ:
وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ نَبِيُّنَا فَمِلْ عَنْ الشِّقَاقِ
أَفْضَلِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ قَوَاطِعَ الْأَدِلَّةِ الْمُحَقِّقُونَ.
وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ السَّلَامِ فِي هِدَايَةِ الْمُرِيدِ لِجَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ :
الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ وَاجِبُ الِاعْتِقَادِ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ عَلَى مَا يُؤْخَذُ مِنْ ظَاهِرِ كَلَامِهِمْ، وَصَرَّحَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَلَفْظُ النَّوَوِيِّ وَلَا بُدَّ مِنْ اعْتِقَادِ التَّفْضِيلِ.اهـ ٤٤/١
وأما عن جسده الطاهر الشريف وقبره الشريف الكريم صلى الله عليه وسلم
فقد قال الإمام ابن عابدين في حاشيته في الفقه الحنفي ج ٩ ص ١٦٩ :
مطلب في تفضيل قبره المكرم صلى الله عليه وسلم
قال في اللباب : والخلاف فيما عدا موضع القبر المقدس ، فما ضمّ أعضاءه الشريفة فهو أفضل بقاع الأرض بالإجماع .
قال شارحه : وكذا أي الخلاف في غير البيت : فإن الكعبة أفضل من المدينة ما عدا الضريح الأقدس ، وكذا الضريح أفضل من المسجد الحرام ، وقد نقل القاضي عياض وغيره الإجماع على تفضيله حتى على الكعبة ، وأن الخلاف فيما عداه.
ونقل عن ابن عقيل الحنبلي أن تلك البقعة أفضل من العرش ،
وقد وافقه السادة البكريون على ذلك.
وقد صرح التاج الفاكهي بتفضيل الأرض على السموات لحلوله صلى الله عليه وسلم بها ، وحكاه بعضهم على الأكثرين لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها
وقال النووي : الجمهور على تفضيل السماء على الأرض ، فينبغي أن يستثنى منها مواضع ضمّ أعضاء الأنبياء للجمع بين أقوال العلماء . اهـ .
أما المالكية : فقد قال الشيخ السمهودي في تاريخ المدينة : نقل عياض وقبله أبو الوليد والباجي وغيرهما الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة على الكعبة ، بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي أنها أفضل من العرش
انظر مواهب الجليل شرح مختصر الشيخ خليل ٩ / ٤٣١

و قال الشيخ محمد بن أحمد عليش المالكي في شرحه على مختصر الخليل:
ومحل الخلاف في غير الموضع الذي ضمّه صلى الله عليه وسلم فإنه أفضل من الكعبة والسماء والعرش والكرسي واللوح والقلم والبيت المعمور . اهـ
انظر منح الجليل شرح مختصر الخليل ٥ / ٤٨١
وأما الشافعية فقد جاء في " حاشية البجيرمي على الخطيب " (٢٢٢/١) :
قال الرملي في شرحه : ومكة أي وكذا بقية الحرم أفضل الأرض للأحاديث الصحيحة التي لا تقبل النزاع كما قاله ابن عبد البر وغيره ، وأفضل بقاعها الكعبة المشرفة ثم بيت خديجة بعد المسجد الحرام ، نعم التربة التي ضمت أعضاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع ما مرّ حتى من العرش.اهـ
وقال والده في حواشي الروض :
وأفضل من السموات السبع ومن العرش والكرسي والجنة .
وأما الحنابلة :
فقد قال الإمام البهوتي في " شرح منتهى الإرادات " (١٤/٤) :
قال في الفنون : الكعبة أفضل من مجرد الحجرة ، فأما والنبي صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله ولا العرش وحمَلَته والجنة ؛ لأن بالحجرة جسداً لو وُزن به سائر المخلوقات لرجح .اهـ
وقال الإمام السخاوي :
مع الإجماع على أفضلية البقعة التي ضمّته صلى الله عليه وسلم، حتى على الكعبة المفضلة بل على العرش، فيما صرح به ابن عقيل من الحنابلة .
ولا شك أن مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرف مما سواها من الأرض والسماء، والقبر الشريف أفضلها، لِما تتنزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة التي لا يعلمها إلا مانِحها، ولِساكنه عند الله من المحبة والاصطفاء ما تقصر العقول عن إدراكه .اهـ
من التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي الصفحة ١٢
وروى الدارمي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر رضي الله عنه :
[يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع أحدهما إلى الأرض وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ قال : نعم.
قال : فَزِنْهُ برجل ، فوُزِنت به فوزنته ، ثم قال : زنه بعشرة ، فوُزنت بهم فرجحتهم، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنت بهم فرجحتهم ، ثم قال : زنه بألف ، فوزنت بهم فرجحتهم ، كأني أنظر إليهم ينتثرون علي من خفة الميزان ، قال: فقال أحدهما لصاحبه : لو وزنته بأمته لَرَجَحَها] .
وقوله صلى الله عليه وسلم : [كأني أنظر إليهم ينتثرون علي من خفة الميزان]
أي يتساقطون من خفة تلك الكفة

لأن البيت المعمور بيت من بيوت الله تعالى له شرفه وفضله على غيره ، أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو خليفة الله الأعظم الذي قال الله في حقه مبيناً ذلك : { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً } .

وقد حفظ الله تعالى الكعبة المشرفة بيته الحرام حفِظها من أن يصِلها الظالمون بالأذى والخَراب، وذكر سبحانه ذلك في القرآن الكريم على سبيل ذِكر فضله ونِعمه وإكرامه لحبيبه صلى الله عليه وسلم فقال تبارك وتعالى : { ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل } أي ألم تعلم علم يقين كأنه رؤيا عين : كيف فعل ربك بأصحاب الفيل {ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول } .

والله تعالى نسأل أن يعطِّف علينا قلب الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ونسأل الله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الرابعة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد:

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب فضل فاتحة الكتاب

ثم أورد بسنده إلى أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ:

[كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ؟ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ، قَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ] [1].

وروى ابن ماجه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ:
[بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ رَاكِبًا فِي سَرِيَّةٍ، فَنَزَلْنَا بِقَوْمٍ فَسَأَلْنَاهُمْ أَنْ يقْرُونَا فَأَبَوْا، فَلُدِغَ سَيِّدُهُمْ فَأَتَوْنَا فَقَالُوا: أَفِيكُمْ أَحَدٌ يَرْقِي مِنْ الْعَقْرَبِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ أَنَا وَلَكِنْ لَا أَرْقِيهِ حَتَّى تُعْطُونَا غَنَمًا، قَالُوا: فَإِنَّا نُعْطِيكُمْ ثَلَاثِينَ شَاةً، فَقَبِلْنَاهَا فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ {الْحَمْدُ} سَبْعَ مَرَّاتٍ

فَبَرِئَ وَقَبَضْنَا الْغَنَمَ، فَعَرَضَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْهَا شَيْءٌ فَقُلْنَا: لَا تَعْجَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي صَنَعْتُ فَقَالَ: أَوَ مَا عَلِمْتَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْتَسِمُوهَا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا].[2]اهـ

[1] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن
[2] سنن ابن ماجه كتاب التجارات

إنما سميت سورة الفاتحة بذلك لأن القرآن الكريم افتتح بها[1] ، لا باعتبار أنها أول ما نزل من القرآن ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تُكتب أمام سور القرآن بوحي من الله تعالى[2] ، وهي من حيث ترتيب النزول ثالث ما نزل على خلاف بين العلماء بينها وبين أوائل سورة : { ن والقلم }[3].

وتسمى سورة الفاتحة أيضاً بـ "فاتحة القرآن" و"فاتحة الكتاب"، ويقال لها أيضاً: "أم القرآن" و"أم الكتاب"[4] يعني القرآن ،

---

[1] انظر تفسير الرازي ١٥٧/١

[2] روى الإمام أحمد في مسنده عن عُثْمَان بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:[إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ مِنْ السُّوَرِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَكَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ عِنْدَهُ يَقُولُ: ضَعُوا هَذَا فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا].

[3] انظر ما ذكره العلامة الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) في مبحث : (أول ما نزل على الإطلاق).

[4] فاتحة الكتاب تسمى أم الكتاب يعني أم القرآن الكريم، أما قوله تعالى: { يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب} يعني الكتاب الذي حوى مقادير الأشياء كلها وكتب فيه كل شيء، وهو قوله تعالى: {وإنه} إشارة إلى القرآن { في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم}.

روى الدارقطني في سننه عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَجْهَرُ فِي الْمَكْتُوبَاتِ بِـ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} فِي فَاتِحَةِ الْقُرْآنِ ..الحديث

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {الحمد لله رب العالمين} سبع آيات أولهن { بسم الله الرحمن الرحيم} وهي السبع المثاني ، وهي فاتحة الكتاب وهي أم القرآن.

وفي مسند أبي داود الطيالسي برواية: [السَّبْعُ الْمَثَانِي هِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ].

وروى البيهقي في شعب الإيمان عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: [إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي فِيمَا مَنَّ بِهِ عَلَيَّ: أَنِّي أَعْطَيْتُكَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَهِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ عَرْشِي...]الحديث

وروى الترمذي في سننه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي].

وذلك لأن أم الشيء مبدؤه ومرجعه ، ولما كانت جميع المعاني القرآنية منطوية ومجملة في سورة الفاتحة سميت أم القرآن وأم الكتاب من هذه الناحية ، ومن ناحية أخرى فهي أم القرآن ، أي : تؤم القرآن يعني أنها أمامه وبقية السور القرآنية مقتدية بها [1]أي : تالية لها ، وقد تعددت أسماء سورة الفاتحة لكثرة فضائلها وخصائصها .

ولم يكن أبو سعيد رضي الله عنه يعلم الحكم بقطع الصلاة - وإن كانت فرضاً- إجابة لدعوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم له[2] مع أنه كان يصلي نفلاً[3]، وقد بين له صلى الله عليه وسلم الحكم بقوله : [ألم يقل الله : { استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } أي: إذا دعاكم لما يحييكم به ، والمراد هنا حياة القلب والروح لأنهم أحياء الجسم .

وإذا كان الجسم الإنساني يحيا بالروح الإنساني التي ينفخها الملك في جسم الإنسان وهو في بطن أمه، فإن هذه الروح الإنسانية لا بد لها من روح أخرى تحيا بها ، وهذه هي الروح القرآنية التي جاء بها رسول الله عليه وسلم ، والمشار إليها بقوله تعالى : { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا }.

قال الإمام البخاري في صحيحه: وَسُمِّيَتْ أُمَّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ.

[1] وسمي الإمام إماماً لأنه يقوم أمام المصلين ويقتدون به.

[2] قال الحافظ ابن حجر في الفتح : إِجَابَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاة فَرْض يَعْصِي الْمَرْء بِتَرْكِهِ

[3] جاء في عون المعبود ٣٩١/٣ : : قال ابن الملك: وقصته أنه قال: مررت ذات يوم على المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقلت: لقد حدث أمر، فجلست فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد نرى تقلب وجهك في السماء) فقلت لصاحبي: تعال حتى نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنزل فنكون أول من صلى، فكنت أصلي فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت، قال: ألم يقل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم).

فأي قلب استجاب لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به حيي صاحبه حياة الأبد ونال سعادة الدنيا والآخرة ونال الحياة الحقيقية العالية ، وأي قلب أعرض وجحد مات صاحبه ميتة الأبد وشقي شقاء الأبد ، فهو ميت وإن كان جسمه حياً ، قال تعالى : { والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون }.

واعلم أن الإنسان نوعان : إنسان حيواني بهيمي لا يعرف من حياته الإنسانية إلا الأكل والشرب والشهوات ، وهذا هو الإنسان الكافر الذي وصفه الله تعالى بأنه كالأنعام كما جاء في قوله جل وعلا: { والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم }، وقوله عز وجل: { أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً }.

وإنسان علوي رباني وهو الإنسان المؤمن الذي يعلم أن الله خلقه ليشرفه بمعرفته والإيمان به وعبادته جل جلاله ، وهو الإنسان الذي نال الحياة الحقيقية الأبدية التي خسرها الكافر وتأسف عليها يوم القيامة ، كما أخبر سبحانه : { يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى * يقول يا ليتني قدمت لحياتي } أي : يا ليتني كنت في الدنيا آمنت وعملت وقدمت لحياتي التي صرت إليها الآن حتى أحيا الحياة السعيدة الطيبة الأبدية .

قوله تعالى : { واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه } يحذِّر سبحانه الإنسان إن هو أعرض واستمر على إعراضه وعناده عن قبول الحق والرجوع عن الباطل فإن الله يجعل بينه وبين قلبه حائلاً لا يستطيع بَعده الإيمان أو الرجوع عما هو فيه ، وإن أراد ذلك فلا يطاوعه قلبه ، وهذا نتيجة عناده وإصراره ، ولذلك يقول سبحانه : { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } أي: بسبب ميلهم وإعراضهم وإصرارهم ، وقال عز من قائل : { بل طبع الله عليها بكفرهم } أي: بسبب كفرهم وعنادهم ، وقال جل وعلا : { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } أي: لأنهم أعرضوا وعاندوا مرة بعد مرة .

وفي ذلك تحذير للعصاة المصرين على ذنوبهم وإرشاد لهم أن يرجعوا عما فيه ويتوبوا إلى الله تعالى قبل أن يؤدي بهم إصرارهم إلى استحلال ما حرم الله فيخرجوا من الدين وهم لا يشعرون .

قوله صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد بن المعلى : [أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ] ثم شغله صلى الله عليه وسلم بحديث آخر ومشى حتى قارب أن يأتي باب المسجد ، ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم ليمتحن حرص أبي سعيد واهتمامه بتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد منه ما يريد[1] ، إذ قال له أبو سعيد بعد ذلك :[يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ : لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ].

وفي هذا دليل على أن لا يضع العالم نفائس العلم وجواهره إلا عند أهله الراغبين فيه والحريصين عليه ، ومن هنا يدرك العاقل قيمة وفضل العلوم التي جاء بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على سماعها وأخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى : { ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم }

فقوله جل وعلا: { سبعاً من المثاني } يعني سورة الفاتحة أي: سبعاً من الآيات المثاني، وهناك السور السبع المثاني ، وهي السبع الطوال : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وبراءة مع تابعتها الأنفال[2].

وقد أُطلقت صفة { السبع المثاني } على سورة الفاتحة لأنها سبع آيات بإجماع الأئمة، وهي مثاني لأنها تُثنّى أي: تُكرّر وتُعاد في كل ركعة من ركعات الصلاة، أو هي مأخوذة من الثناء لأن فيها ثناء كبير على الله تعالى ، وفيها يعلِّم الله تعالى عباده كيف يُثنون عليه[3]، فأولاً يذكر العبد اسم الله جل وعلا { الرحمن الرحيم } بقوله : { بسم الله الرحمن الرحيم }

---

[1] قال الحافظ ابن حجر في الفتح : قَوْله : (ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي) زَادَ فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة " يُحَدِّثنِي وَأَنَا أَتَبَاطَأ مَخَافَة أَنْ يَبْلُغ الْبَاب قَبْل أَنْ يَنْقَضِي الْحَدِيث ".اهـ ٢٨٥/١٢

[2] انظر كتاب (الإتقان في علوم القرآن) للحافظ السيوطي

[3] انظر تفسير الخازن لقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)

ثم يحمده سبحانه بقوله { الحمد الله رب العالمين } ثم بتكرار ذكر كمالاته وأسمائه سبحانه { الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين } .

روى مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

[قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي[1]

وَإِذَا قَالَ:{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي

وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}

قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي[2]، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي

فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}

قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ

فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}

قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ][3].

وفي هذا بشارة لمن دخل في الصلاة وقرأ سورة الفاتحة فإن الله تعالى يناجيه ويقبل ثناءه ويجيب دعاءه، وإذا أجاب الله عبده فقد ضَمِنه، فليحسن المصلي قراءته وليحضر قلبه مراقباً مناجاة الله له وإجابته له سبحانه.

---

[1] وفي رواية للبيهقي في السنن الكبرى:
[فإذا قال العبد:(بسم الله الرحمن الرحيم) يقول الله: ذَكَرَني عبدي].
[2] يعني: عظّمني
[3] صحيح مسلم كتاب الصلاة ومسند الإمام أحمد ٦٩٩٠

وتسمى سورة الفاتحة "مثاني" أيضاً من الثُّنيا[1] أي: الاستثناء، فقد استثنى الله تعالى هذه السورة من بين سائر الكتب السابقة وخص بها هذه الأمة المحمدية[2] فخص الله تعالى خير الأمم بأفضل سورة وأعظمها .

ويحسن بنا أن نبين معنى قوله تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون} .

يعني قد مضى قبلكم أمم فاضلة خيِّرة أنتم خيرها وأفضلها عند الله تعالى وليس المراد من قوله تعالى: {كنتم خير أمة} أي: خيراً من الأمم الشريرة الكافرة التي مضت قبلكم، إذ لا معنى للخيرية عندئذ.

فالمراد إذاً: كنتم خير أمة خيرة أخرجت، لأن التفضيل يكون بين شيئين أو أكثر اشتركا في صفة، وفُضِّل أحدهما على الآخر فيجري التفاضل بينهما.

وهكذا فقد جاء بيان ذلك عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب البيان عن القرآن الذي قال:[أَلَا إِنَّكُمْ تُوفُّونَ]- وفي رواية: [إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ][3][سَبْعِينَ أُمَّةً] أي : من الأمم الخيِّرة الكريمة [أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ][4] وما نالت هذه الأمة ذلك إلا لأنها أمة إمام الأنبياء والمرسلين وأفضل الأنبياء والمرسلين، فنالت الشرف والفضل على باقي الأمم باتباعها لرسولها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي الأمة المصطفاة التي ورثت عن رسولها صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى : { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا } .

ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من أتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المتمسّكين بهديه.

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] جاء في مختار الصحاح : (الثُّنْيَا) بِالضَّمِّ اسْمٌ مِنَ (الِاسْتِثْنَاءِ)
[2] انظر تفسير الآلوسي ٤٠/١
[3] سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن
[4] مسند الإمام أحمد ١٩١٧٦

المحاضرة الخامسة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

بَاب مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ

وَسُمِّيَتْ أُمَّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ، وَالدِّينُ : الْجَزَاءُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ،كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ:

{ بِالدِّينِ } بِالْحِسَابِ { مَدِينِينَ } مُحَاسَبِينَ

ثم أورد بسنده إلى أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ:

[كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ

{ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }

ثُمَّ قَالَ لِي: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ].

بَاب { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ }

ثم أورد بسنده إلى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَالَ الْإِمَامُ { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } فَقُولُوا: آمِينَ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ][1].اهـ

[1] صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن

لقد سمَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الفاتحة (أم القرآن) و(أم الكتاب) كما جاء عنه في الحديث الذي رواه الإمام البخاري :

[لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب][1]

وفي رواية : [لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ][2].

وسميت فاتحة الكتاب بـ "أم الكتاب" و"أم القرآن"[3] لتقدمها على بقية السور ، وعليه جرى الإمام البخاري رضي الله عنه فقال:

"وَسُمِّيَتْ أُمَّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ"،فهي تتقدم على كل السور من حيث قراءتها في الصلاة، وهي أم بهذا المعنى كما تتقدم الأم في الخلق على أولادها، وقد تقدم بيان ذلك.

وقال بعض السلف رضي الله عنهم : سميت سورة الفاتحة أم القرآن باعتبار أن أم الشيء مرجعه وأصله، مما يدل على أن المعاني القرآنية انطوت في سورة الفاتحة وأجملت فيها كما أجملت الشجرة في نواتها[4].

وسورة الفاتحة هي أعظم سور القرآن كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لأبي سعيد رضي الله عنه:[لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ]، وقد جاء هذا الحديث أيضاً عن أبي بن كعب رضي الله عنه كما رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أُبَيُّ، وَهُوَ يُصَلِّي ، فَالْتَفَتَ أُبَيٌّ وَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيٌّ فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،

---

[1] في صحيحه كتاب القراءة خلف الإمام

[2] صحيح مسلم كتاب الصلاة

[3] روى الترمذي في سننه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي].

[4] جاء في تفسير القرطبي : وقيل: سميت أم القرآن لأنها أوله ومتضمنة لجميع علومه، وبه سميت مكة (أم القرى) لأنها أول الأرض ومنها دحيت، ومنه سميت الأم أمّاً لأنها أصل النسل، والأرض أمّاً.اهـ ١١٢/١

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ]

أي لذلك لم أُجبك في الحال [قَالَ: أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَن {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}؟

قَالَ: بَلَى، وَلَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ].

أي أنني من الآن فصاعداً أجيبك حالاً إذا دعوتني ولو كنت في الصلاة

بدليل ما جاء في رواية البيهقي أن أبي بن كعب رضي الله عنه قال :

[لَا جَرَمَ يَا رَسُولُ اللَّهِ، لا تَدْعُونِي إِلا أُجِيبُكَ، وَإِنْ كُنْتُ مُصَلِّيًا].

ومن هنا استدل العلماء على وجوب قطع الصلاة إذا نادى المصليَ رسولُ الله ولو كانت صلاته فرضاً[1].

وقد بين سيدنا رسول الله سبب ذلك بقول الله تعالى : { استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } أي لأنه يدعوكم إلى أمر فيه حياتكم ، ولا شيء أهم وأعظم عند المؤمن من حياة قلبه وروحه ..

وقد نص العلماء على أن المصلي إذا رأى طفلاً يشرف على الهلاك بأن كان سيرمي نفسه من سطح ، أو رأى أعمى يوشك أن يقع في بئر ، أو استغاثه إنسان لدفع ضرر عنه وجب عليه أن يقطع صلاته لإنقاذ غيره من الهلاك وللحفاظ على حياته ..

فماذا يجب على المصلي إذا دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه حياة قلبه وروحه ؟

نعم يجب عليه أن يقطع صلاته ويجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قوله تعالى : { استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } أي إذا دعاكم رسول الله لما يحييكم به ، وإن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم هي دعوة من الله تعالى .

---

[1] قال الحافظ ابن حجر في الفتح : إِجَابَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاة فَرْض يَعْصِي الْمَرْء بِتَرْكِهِ

فلقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سعيد رضي الله عنه لِما يحييه بأن علَّمه أعظم سورة في القرآن الكريم فقال : {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ].

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب رضي الله عنه:

[أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ].

فلقد دعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سورة الفاتحة وهي من القرآن الكريم ، والله تعالى يقول : { استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } أي لما يحييكم به وهو القرآن الكريم النازل عليه صلى الله عليه وسلم، مما يدل على أن للإنسان روحاً يحيا بها القلب والروح الإنسانية حياة الأبد ، وهذا ما ذكره سبحانه بقوله : { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا } فكما يحيا الجسم الإنساني بالروح الإنساني التي ذكرها جل وعلا في قوله: { ويسألونك عن الروح } أي الروح الإنسانية { قل الروح من أمر ربي} أي من عالم الأمر الرباني وهو عالم لطيف يوجد بقول الله تعالى : { كن } ولا يتوقف وجوده على مدة ولا مادة، ولا بد للروح الإنسانية والقلب الإنساني من روح عالية لحياتهما وهذه هي الروح القرآنية التي تحيا بها الأرواح الإنسانية حياة السعادة الأبدية .

وكما يحتاج جسمك إلى مدد وغذاء فإن روحك الإنسانية تحتاج أيضاً إلى مدد وغذاء، وما مددها وغذاؤها إلا الروح القرآنية التي إن استجاب الإنسان لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به وبما جاء به حييت روحه حياة الأبد، وإن أعرض وجحد ماتت روحه ميتة الأبد - وإن كان جسمه حياً - فحياته كحياة الأنعام لا يعرف إلا طعامه وشرابه وشهوته وفيه يقول سبحانه: { والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون* أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون}

ويقول عز من قائل في صفة الكافرين : { إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً } .

فقوله تعالى : { استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } أي لما يحييكم به وهو القرآن الكريم الذي جاءكم به، ولا يُفهم القرآن إلا عن الذي نزل عليه وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} فجاءت أحاديثه صلى الله عليه وسلم بيانات للقرآن الكريم، فالقرآن الكريم والسنة المحمدية هما حياة الأرواح والقلوب

واعلم أن الإنسان مركب من جسم وروح كما قال سبحانه : { فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين }، فبالجسم والروح صار الإنسان إنساناً، وبالروح صار لهذا الجسم الإنساني مدارك وحواس وقوى وسمع وبصر وتفكير وإرادة وغير ذلك، ولا يتمتع الإنسان بحواسه ومداركه وقوته إلا إذا كان قلبه سليماً صحيحاً لأن القلب هو واسطة وباب الروح إلى الجسم، وبالروح يستمر القلب في نبضه ليوصل إلى سائر أطراف الجسم ما تحتاجه من غذاء، وما الروح إلا بيد الله تعالى، بل كل شيء بيده سبحانه الذي قال جل وعز : { تبارك الذي بيده الملك } وقال عز من قائل :{ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء }، والروح تابعة لعالم الملكوت، والجسم عالم من عوالم الملك، وكلاهما بيد الله تعالى .

ومتى انقطع مدد الروح للقلب توقف القلب فمات الجسم الذي كان القلب ينبض ليبقي عليه حياته، وهذا من حيث الحياة الجسمانية، وأما من حيث الحياة الروحية فاعلم أن الله تعالى قد أودع في قلب الإنسان الحسي الصنوبري قلباً آخر لطيفاً ربانياً وهو موضع الإدراك والتبصر، ومتى صح في الإنسان هذا القلب صار إنساناً حقيقياً، وإذا فقد الإنسان قلبه الروحي الرباني صار إنساناً بالصورة حيواناً على الحقيقة، ألا ترى إلى قوله تعالى : { إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب }

مع أن كل إنسان يتمتع بالقلب الجسدي إلا أن المراد : إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب حي يقظ وهو القلب اللطيف الرباني ، ولذلك من فقد هذا القلب فلا ينتفع بتذكير القرآن الكريم ومواعظه .

وكما أن نور البصر قام في حدقة العين ولولاه لما صار الإنسان بصيراً ولو كان له عينان كبيرتان، وكذلك قام القلب اللطيف الرباني في القلب الجسدي ولولاه لصار الإنسان حيواناً لا يعرف سوى الأكل والشرب والشهوة، فمن أصغى سمعه وتحرر من عبودية الكبر والتعالي دخلت روح القرآن الكريم - التي جاء بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - دخلت قلبه الروحاني الرباني فحيي قلبه وصار صاحبه منصفاً مؤمناً يعرف حكمة الله تعالى مِن خلقه ويتمسك بشرعه سبحانه، وإذا كان الإنسان يحرص على حياته الدنيوية المؤقتة ويبعد جسمه عن المهالك والمتالف خشية أن تزهق روحه الإنسانية فيفقد حياته الدنيوية فمن باب أولى وأجدر ينبغي عليه أن يكون حرصه على حياته الأخروية الأبدية أشد وأعظم، وأن يبعد نفسه عن الفسوق والكفر والضلال لئلا يموت قلبه الروحاني فيخسر سعادة الأبد، ويشقى شقاء الأبد بحياة ضيقة شديدة عسيرة ، ولذلك ترى الكافر يتمنى الرجعة في الآخرة كما أخبر سبحانه عن ذلك بقوله : { وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان} أي الإنسان الكافر {وأنى له الذكرى} أي ماذا تنفعه الذكرى وقد عاين سوء عمله وعاين جهنم وما فيها؟! ولا رجعة إلى الدنيا حتى يؤمن وينتفع بتذكره {يقول يا ليتني قدمت لحياتي } أي يا ليتني في الدنيا قدَّمت وعملت حتى أجد ثواب ذلك الآن في الآخرة التي هي الحياة الحقيقية الباقية وأحيا الحياة السعيدة الأبدية.

وقوله تعالى مخبراً عن الكافر : { يا ليتني قدمت لحياتي } أي لحياة روحه وقلبه التي قد خسرها لمّا كان في الدنيا بأن أعرض واستكبر عن دعوة الرسول الذي جاء بروح من عند الله تعالى تحيا بها الأرواح حياة الأبد

قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } أي إذا دعاكم صلى الله عليه وسلم لما يحييكم به وهو القرآن النازل عليه الذي قال الله تعالى فيه: { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا}، ومن شأن الروح أن تعطي الحياة ، وهذا هو الروح القرآني الذي تحيا به الأرواح الإنسانية حياة الأبد،

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن كان في زمنه ودعا كل إنسان يأتي من بعده إلى يوم القيامة دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والإسلام، وأن يأخذوا بالقرآن الكريم وما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من بيانات للقرآن الكريم وهي أحاديثه الشريفة صلى الله عليه وسلم.

وكما أنه صلى الله عليه وسلم رسول إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم ورسول إلى مَن كان في زمنه صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً رسول إلى كل فرد من أمته يأتي إلى يوم القيامة، وفي هذا يقول سبحانه : { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} أي لأنذركم به وأنذر به من بلغه هذا القرآن، ومن بلغه القرآن فقد بلغته دعوتي، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن مردويه وأبو نعيم والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من بلغه القرآن فكأنما شافَهْتُهُ به] أي فكأنه رآني وسمع القرآن مني وقامت حجة الله عليه [ثم قرأ : { وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ }.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى : { وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ } قال : (من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم)، وفي لفظ : (من بلغه القرآن حتى يفهمه ويعقله كان كمن عاين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلَّمه) [1].

وقال تعالى في وصف المؤمنين الذين استجابوا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان} وهذا المنادي هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي نادى العالم كلهم ودعاهم للإيمان بربهم {أن آمنوا بربكم فآمنا}.

[1] انظر الدر المنثور للحافظ السيوطي ٣٩/٤

قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه } أمر سبحانه عباده أن يستجيبوا لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد دعاهم أولاً للإيمان وأركانه من الأمور الاعتقادية، ثم دعاهم للالتزام بالأحكام الشرعية بامتثال الأوامر واجتناب المناهي، ثم حذر وأنذر سبحانه عباده من الإعراض والاستكبار عن إجابة دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن أعرض واستكبر ولم يؤمن - بعد أن عرف الحق وسمع دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقامت عليه الحجة وسمع التذكير والمواعظ مرات ومرات إلا أنه كان يعرض ويستكبر في كل مرة - فإن الله تعالى بعد ذلك يحول بينه وبين قلبه أي يجعل حائلاً بينه وبين قلبه عقوبة له فلا يُوفَّق إلى الإيمان، وإن هو أراد الإيمان لا يجد في قلبه استجابة له وهذا معنى قوله تعالى : { فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا} أي على قلوبهم {بِكُفْرِهِمْ} أي بسبب كفرهم وإعراضهم بعد أن عرفوا الحق ولم يعترفوا به ويذعنوا له، فطبع الله على قلوبهم وختم عليها بخاتم الكفر {فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا}.

وتشمل هذه العقوبة الإلهية أيضاً عصاة المؤمنين المصرين على معصية الله تعالى ولا يتوبون منها فقد يَجر أحدَهم الإصرارُ على المعصية يجره إلى استحلالها فيقع في الكفر من حيث لا يشعر ،كما قد يعاقب بإصراره على المعصية بأن يحول الله بينه وبين قلبه فإن هو أراد التوبة لا يجد من قلبه استجابة ونسأل الله العافية .

ونظير ذلك كرجل نصحه الأطباء بل نصحه كل العقلاء بأن لا يتعاطى الخمر والمخدرات والمسكرات لأنها تضر بجسده وقد توصله إلى درجة الإدمان بحيث لو أراد تركها ما استطاع، إلا أن هذا الرجل لم يستجب لأحد وبقي في تعاطيه للمخدرات والمسكرات حتى أضرت بجسده فلما حاول تركها لم يتمكن بل راح يجد في نفسه وقلبه رغبة شديدة فيها ولم يستطع الحياة بدونها فصار أسير سكره، ولمّا يجِدُّ في تركه لها ربما تودي بحياته، ونسأل الله العافية من كل داء وبلاء ظاهر وباطن،

وكذلك الإصرار على الكفر والمعاصي قد يوصل صاحبه إلى أن يُختم على قلبه فلا يستطيع الإيمان ولا التوبة ...

جاء في الحديث عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

[الطابع مُعَلَّقة بقائمة عرش الله عز وجل ، فإذا انتُهِكت الحرمة وعُمل بالمعاصي ، واجتُرئ على الرب ، بعث الله الطابع فيطبع على قلبه ، فلا يعقل بعد ذلك شيئاً] [1] أي : يطبع الله على قلب المصرّ على كفره ومعصيته .

وقوله تعالى { واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه } ينبّه سبحانه عباده إلى أنه أقرب للإنسان من قلبه لأنه يحول بين المرء وقلبه فليحذر الإنسان ربه وليتق الله في السر والعلانية، ومن راقب الله تعالى في جملة أحواله وخشي الله تعالى وابتعد عمَّا نهاه الله تعالى عنه ثبّت الله قلبه على الإيمان وختم له بحسن العاقبة ، قال تعالى : { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} فمن ارتكب المعاصي واتخذ ربه وراءه ظهرياً وأصر واستكبر حال الله بينه وبين قلبه وساءت خاتمته ، نسأل الله العافية.

وقد سميت سورة الفاتحة بهذا الاسم لأن المصاحف تفتتح بها كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي من الله تعالى[2]، كما وأن على المصلي أن يفتتح صلاته من القرآن بها.

---

[1] شعب الإيمان للبيهقي والتوبة لابن أبي الدنيا

[2] روى الإمام أحمد في مسنده عن عُثْمَان بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:
[إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ مِنْ السُّوَرِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَكَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ عِنْدَهُ يَقُولُ: ضَعُوا هَذَا فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا].

ويقال لها (سورة الدعاء) لأن الله تعالى علَّم بها العباد كيف يدعونه ، وذلك بأن يبدأ الداعي بالحمد ثم بالثناء على الله تعالى ثم بتمجيد الله تعالى ثم يسأل الله تعالى ويدعوه.

وقوله تعالى: {الحمد لله رب العالمين} كأن الله تعالى يقول لعباده: قولوا: {الحمد لله رب العالمين} فعلَّم سبحانه العباد كيف يحمدونه ويثنون عليه لأن العبد لا يمكن أن يحمد ربه بمحامد سينشئها من نفسه وعِلْمه إلا إذا علّمه الله تعالى ذلك، وهذا ما جاء بيانه في كتاب الله تعالى وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اختتمت سورة الفاتحة بكلمة (آمين) التي تعني : (اللهم استجب) وهي ليست آية من الفاتحة ولا من القرآن الكريم بل يستحب أن يؤتى بها عند ختم سورة الفاتحة وعند ختم الدعاء للداعي ولسامعي الدعاء[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: [إذا قال الإمام {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فقولوا: "آمين" فإن الملائكة تقول: "آمين"، وإن الإمام يقول:"آمين" فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه][2] يدل على أن هناك جملة من الملائكة الكرام عليهم السلام يقتدون بكل إمام،

---

[1] وقد تقدم معنا أن آيات سورة الفاتحة سبع آيات بلا خلاف بين الأئمة لكن الخلاف في تلك الآيات ، فالشافعية اعتبروا البسملة من الفاتحة ، والآية السابعة هي من قوله تعالى :(صراط الذين أنعمت عليهم) إلى آخر السورة، والبسملة عند الشافعية آية من كل سورة من سور القرآن يؤتى بها في أول السورة.
أما الحنفية فقالوا: إن البسملة آية من القرآن يستحب أن يؤتى بها أول كل سورة، وليست البسملة آية من سورة الفاتحة، واعتبروا أن الآية السابعة هي قوله تعالى : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، ولذلك يجهر الشافعية بالبسملة في الصلاة الجهرية، ويسر بها الحنفية .اهـ
انظر حاشية ابن عابدين ٣٢٩/١ ، ونهاية المحتاج ١ / ٤٥٧

وفي الصحيحين والرواية لمسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: [إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ].

[2] سنن النسائي كتاب الافتتاح

ويتوقف عددهم على حسب درجة ذلك الإمام في التقوى والصلاح، وهؤلاء الملائكة المقتدون بالإمام يقولون: "آمين" إذا قرأ الإمام.

قوله تعالى: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين } فليسارع الإنسان المقتدي إلى قوله "آمين" ليوافق قوله قول الملائكة في الزمن فيلتحق تأمينه بتأمين الملائكة.

وإن تأمين الملائكة يُرفع إلى الله تعالى ويجاب، ومن فضله ورحمته سبحانه أنه لا يرد من كان تأمينه معهم لأنه قد سلك نفسه في سلكهم فقبِله الله جل وعلا وغفر له، ولا تقِس أحكام الإمام والمقتدين في الصلاة على صلاة الملائكة فهم يقتدون بالإمام وإن كانوا في السماء والإمام في الأرض.

وقوله صلى الله عليه وسلم : [فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه] إن جمهور العلماء على أن هذه الموافقة موافقة زمنية، وقال بعضهم: إن الموافقة هي في الحضور والخشوع، لأن صلاة الملائكة تكون عن حضور وخشوع وخشية لله تعالى، فمن وافق تأمينه في الحضور والخشوع تأمين الملائكة في الحضور والخشوع غفر له ما تقدم من ذنبه، والقول الأول أوسع وأرجى لرحمة الله ومغفرته سبحانه وهو أن يوافق قول المصلي"آمين" زمن قول الملائكة المقربين "آمين" ، وهم يقولونها عند قراءة الإمام: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين}[1]

كل ذلك يدل على عظمة فضل الصلاة وقوة اعتبارها عند الله تعالى، وأن للمصلي صلة بربه سبحانه في صلاته ، وصلة برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وصلة بالملائكة عليهم السلام ، وصلة بعباد الله الصالحين كلهم رضي الله عنهم، ويكفي المصلي فضلاً وشرفاً أنه في صلاته يدعو ربه ويناجيه جل وعلا .

---

[1] قال الإمام النووي في شرحه صحيح الإمام مسلم : وقوله صلى الله عليه وسلم : (من وافق قوله قول الملائكة) ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة معناه : وافقهم في وقت التأمين فأمّن مع تأمينهم فهذا هو الصحيح والصواب ، وحكى القاضي عياض قولاً أن معناه : وافقهم في الصفة والخشوع والإخلاص .اهـ ١٤٥/٢

ومن ختم دعاءه بقوله [آمين] أجاب الله دعاءه ، لِما روى أبو داود في سننه عن أَبِي مُصَبِّحٍ الْمَقْرَائِيِّ قَالَ:[كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى أَبِي زُهَيْرٍ النُّمَيْرِيِّ، وَكَانَ مِنْ الصَّحَابَةِ، فَيَتَحَدَّثُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، فَإِذَا دَعَا الرَّجُلُ مِنَّا بِدُعَاءٍ قَالَ: اخْتِمْهُ بِآمِينَ، فَإِنَّ آمِينَ مِثْلُ الطَّابَعِ عَلَى الصَّحِيفَةِ، قَالَ أَبُو زُهَيْرٍ: أُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْجَبَ إِنْ خَتَمَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: بِأَيِّ شَيْءٍ يَخْتِمُ؟ قَالَ: بِآمِينَ، فَإِنَّهُ إِنْ خَتَمَ بِآمِينَ فَقَدْ أَوْجَبَ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ الَّذِي سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى الرَّجُلَ فَقَالَ: اخْتِمْ يَا فُلَانُ بِآمِينَ ، وَأَبْشِرْ][1]وهذا يدل على أنه يسن للداعي نفسه أن يختم دعاءه بكلمة [آمين] عملاً بهديه وإرشاده صلى الله عليه وسلم.

وروى البيهقي في دلائل النبوة عَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:
[لا يَجْتَمِعُ مَلأٌ فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ وَيُؤَمِّنُ بَعْضُهُمْ إِلا أَجَابَهُمُ اللَّهُ].

وإذا كانت [آمين] يُختم بها الدعاء فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم في ختم مجلس كل عبادة - ويشمل ذلك الدعاء والصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك - أن يقول العبد :{ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين } .

قال الحافظ السيوطي في الدر المنثور:

وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من سَرَّهُ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم: {سبحان ربك رب العزة عما يصفون* وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين }.

[1] سنن أبي داود كتاب الصلاة

وأخرجه البغوي في تفسيره من وجه آخر متصل عن سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه ، موقوفاً .اهـ[1]

وبعد أن يفرغ المصلي من صلاته والأوراد الواردة بعد الصلاة ، عليه أن يختم ذلك بقوله: { سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين } لما روى الطبراني عنه صلى الله عليه وسلم :

[مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ: { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَدِ اكْتَالَ بِالْجَرِيبِ] أي بالمكيال [الأَوْفَى مِنَ الأَجْرِ].

وفي رواية : أن يقرأ ذلك ثلاث مرات دبر كل صلاة بعد فراغه من أوراده ودعائه[2].

وأما سيدنا أبيّ بن كعب الذي روى الحديث المتقدم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان من كبار قراء الصحابة ومقرئيهم لما ورد في الحديث: [وأقرؤهم أبيّ][3] ، وقد أكرمه سبحانه وشرَّفه بأن أمر نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه القرآن - وإن كان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ويبلغ دعوة الله تعالى لكل الناس - .

ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُبَيٍّ: [إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، قَالَ أُبَيٌّ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ سَمَّاكَ لِي، فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي.

قَالَ قَتَادَةُ: فَأُنْبِئْتُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ {لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}.[4]

---

[1] ٣٧٢/٨

[2] انظر كتاب معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني

[3] روى الترمذي في سننه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ].

[4] صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن

وفي السورة قوله تعالى : { رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة * فيها كتب قيّمة}.

وفي مسند الإمام أحمد:

[قَالَ أُبَيٌّ: وَقَدْ ذُكِرْتُ ثَمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟] أي : هناك في الملأ الأعلى ؟

[قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبَكَى أُبَيٌّ][1].

وفي رواية الطبراني أنه قال :[يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَذُكِرْتُ هُنَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ بِاسْمِكَ وَنَسَبِكَ فِي الْمَلأِ الأَعْلَى][2] أي قال جل وعلا لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم : اقرأها على أبيّ بن كعب، فجعل أبيٌّ بن كعب يبكي رضي الله عنه لشدة فرحه بفضل الله تعالى ورحمته به أنْ ذكره جل وعلا عنده وفي الملأ الأعلى ..

وإن الشرف الأكبر والفضل الأكبر للإنسان أن يذكره رب العالمين جل وعلا بحضرته وفيمن عنده، وقد قال تعالى: {ولذِكر الله أكبر} أي ولذِكر الله تعالى عبدَه إذا ذكره عبدُه هو أكبر من ذِكر العبد ربَّه، وهذا لأنه سبحانه يذكر من ذكره، كما قال جل وعلا : { فاذكروني أذكركم } وفي الصلاة يذكر المصلي ربه جل وعز.

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] ١٥٤٢٨

[2] انظر المعجم الكبير للطبراني

المحاضرة السادسة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب فضل سورة البقرة

ثم أورد بسنده إلى أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ][1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

[وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِن الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِن الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هِيَ ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ ،

[1] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن

فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: مَا هِيَ ؟ قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}

وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرَبكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ[1]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ].[2]اهـ

إن سورة البقرة هي فسطاط القرآن لأنها أطول سورة في القرآن ، جاء فيها ذكر العقيدة الإيمانية والأحكام الشرعية بما فيها من معاملات وآداب[3] ..

وقد بين صلى الله عليه وسلم أن في سورة البقرة آيات لها خصائص وفضائل ، ومنها آية الكرسي وخواتيم السورة .

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم : [مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ] أي من قرأ من قوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون .. } إلى تمام السورة.

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم في حديث آخر فضل قراءة آخر ثلاث آيات من سورة البقرة ، من قوله تعالى : { لله ما في السموات وما في الأرض ... } إلى آخر السورة .

---

[1] قال الحافظ ابن حجر في الفتح : فِيهِ الْتِفَات ، إِذ السِّيَاق يَقْتَضِي أَنْ يَقُول : وَكُنَّا أَحْرَص شَيْء عَلَى الْخَيْر ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون هَذَا الْكَلَام مُدْرَجًا مِنْ كَلَام بَعْض رُوَاته ، وَعَلَى كُلّ حَال فَهُوَ مَسُوق لِلِاعْتِذَارِ عَنْ تَخْلِيَة سَبِيله بَعْد الْمَرَّة الثَّالِثَة ، حِرْصًا عَلَى تَعْلِيم مَا يَنْفَع .

[2] صحيح البخاري كتاب الوكالة

[3] قال القرطبي في تفسيره : ويقال لها: فسطاط القرآن، قاله خالد بن معدان، وذلك لعظمها وبهائها، وكثرة أحكامها ومواعظها .اهـ ١٥٢/١

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[أُعْطِيتُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَلَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي] فمن قرأ آخر ثلاث آيات من سورة البقرة فقد حاز على الفضائل الواردة في قراءتها وقراءة الآيتين من آخرها .

وقوله صلى الله عليه وسلم : [مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ] أي بعد العشاء ، كما دل عليه رواية : [مَنْ قَرَأَهُمَا بَعْد الْعِشَاء الْآخِرَة] [1]يعني أن قراءتها في ليلة تبدأ من بعد صلاة العشاء، ولو قرأها الإنسان قبل أن ينام أجزأه ذلك .

وقوله صلى الله عليه وسلم : [كَفَتَاهُ] من أي شيء وعن أي شيء كفتاه ؟

نعم ، يقال في اللغة : كفاه من الشيء ، وكفاه عن الشيء [2].

قال بعض العلماء رضي الله عنهم في قوله صلى الله عليه وسلم: [كفتاه] أي من شر الشياطين، ودل على هذا المعنى ما جاء عنه صلى الله عليه وسام في أحاديث ثانية ، والأحاديث الشريفة يفسر بعضها بعضاً كما أن الآيات القرآنية يبين بعضها بعضاً ، ففي الحديث الذي رواه الترمذي عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ[3] ،

---

[1] قال الحافظ ابن حجر في الفتح : وَقَدْ أَخْرَجَ عَلِيّ بْن سَعِيد الْعَسْكَرِيّ فِي " ثَوَاب الْقُرْآن " حَدِيث الْبَاب مِنْ طَرِيق عَاصِم بْن بَهْدَلَة عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش عَنْ عَلْقَمَة بْن قَيْس عَنْ عُقْبَةَ بْن عَمْرو بِلَفْظِ: [مَنْ قَرَأَهُمَا بَعْد الْعِشَاء الْآخِرَة أَجْزَأَتَا : { آمَنَ الرَّسُول } إِلَى آخِر السُّورَة].اهـ ٢٢١/١٤
ويقال لصلاة المغرب" العشاء الأولى" كما في عرف السلف الصالح رضي الله عنهم، قال ابن العربي في أحكام القرآن : وَقَوْلُ أَنَسٍ فِي الْبُخَارِيِّ : " الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ" يَدُلُّ عَلَى الْعِشَاءِ الْأُولَى.اهـ ١١٨/٦

[2] انظر (لسان العرب) مادة : (كفى)

[3] أي بألفي سنة ، وتسمى السنة عاماً لأنه يعم ، وقوله : [بألفي عام] أي : من تلك الأعوام المترتبة على حركة الأفلاك العرشية، والتي أشار إليها قوله تعالى : { وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} لأن قوله صلى الله عليه وسلم : [إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ] يعني أنه لم يكن هناك شمس ولا قمر بعدُ حتى تنشأ الأشهر والأعوام المعروفة في عالم الأرض .

أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا يُقْرَأَانِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ].

وفي رواية النسائي :[إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ سَنَةٍ - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:- بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَإِنَّهُ أَنْزَلَ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَلِجُ بَيْتًا قُرِئَتَا فِيهِ ثَلاثَ لَيَالٍ][1] أي : إذا قُرئتا في ليلة تكون وقاية وحفظاً لتلك الدار ثلاث ليال، وما أحوج الإنسان إلى أن يقيه الله شر الشيطان ووسوسته ومكائده، فواظب أيها المؤمن على قراءة ما أوصاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة حتى تكون في حفظ الله جل وعلا ووقايته .

وقال بعضهم : [كفتاه] أي : من شر كل ذي شر من الشياطين وغيرها .

وقال كثير من السلف في قوله صلى الله عليه وسلم : [كفتاه] أي : تكفيانه عن صلاة الليل ، فيكتب لقارئها ثواب قيام الليل ، وقد دل ذلك رواية للحديث : [من قرأ خاتمة الْبَقَرَةِ أَجْزَأَتْ عَنْهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ] ويُحمل هذا على من كانت عادته قيام الليل إلا أنه عجز في بعض الليالي عن القيام لتعب أو مرض ألم به ، فإن الله تعالى يعطيه ثواب قيام الليل إن هو قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة.

واعلم أن كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام جامع ، فقوله صلى الله عليه وسلم : [كفتاه] يعني كفتاه من الشرور والمكاره كلها وتكفيانه أيضاً عن قيام الليل ، ويكتب له ثواب قيام الليل إجمالاً ،

أما من قام الليل وصلى ودعا فله ثواب ذلك مفصلاً مضاعفاً .

[1] سنن النسائي الكبرى

ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كما في سنن الترمذي : [مَنْ قَرَأَ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فَقَدْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ][1] يعني من حيث الإجمال ، أما من حيث التفصيل ، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ {الم} حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ][2].

وقال بعضهم في قوله صلى الله عليه وسلم : [كفتاه] أي : من حيث العقيدة والإيمان ، فإذا قرأ بهما معتقداً بهما فهو مؤمن وعقيدته بهما كافية[3] ، لأن في هذه الآيتين يلقن الله تعالى عباده العقيدة الإيمانية ، وهي قوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله } وقوله جل وعلا مخبراً عن المؤمنين { وقالوا سمعنا وأطعنا } وفي هذا يلقن الله تعالى عباده موقفهم مع ما جاء عنه جل جلاله ومع ما جاء عن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وهو موقف السمع والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهمكما علمهم سبحانه : { غفرانك ربنا وإليك المصير } .

قوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه } يعني ذلك الرسول الذي هو علم الأعلام المعروف المحمود عند أهل الملأ الأعلى وعند جميع خلق الله تعالى وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

و[ال] في قوله تعالى : { الرسول } هي للعهد أي : الرسول المعهود ذهناً والمعلوم عند كل إنسان من الأولين والآخرين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه } أي : إيماناً خاصاً به صلى الله عليه وسلم لائقاً بمنصب نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم .

---

[1] سنن الترمذي كتاب الحج
[2] سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن
[3] انظر فتح الباري ٢٢١/١٤

قوله جل وعلا : { والمؤمنون كلٌ آمن } أي : كلٌ آمن على حسب مقامه وعلمه ومعرفته بالله تعالى، وذلك لأن قوة الإيمان تتوقف على معرفة الإنسان وعلمه بالله تعالى ، وهو صلى الله عليه وسلم أعلمُ خلق الله بالله جل وعلا، فلا إيمان كإيمانه صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال تعالى: { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه} والوقف هنا ، ثم ذكر سبحانه المؤمنين تبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عز من قائل : { والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .. } الآية[1] ليبين جل وعلا أن إيمانه صلى الله عليه وسلم ليس كإيمان أحد ، كما أن إيمان المؤمنين يتفاوت على حسب درجاتهم في العلم والمعرفة والخشية من الله سبحانه وتعالى .

والحكمة في الوقف عند قوله تعالى : { من ربه } ثم تُتابِع الآية { والمؤمنون كل آمن } أن يظهر الفرق بين إيمانه الخاص صلى الله عليه وسلم وإيمان غيره من المؤمنين .

ومنهم من ذكر أن الوقف على قوله تعالى : [آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون } ثم تبدأ { كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله } الآية، وذلك ليظهر للإنسان أنه لا يصح إيمان مؤمن إلا بمتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز فصل التابع عن المتبوع ، كما لا يصح فصل المقتدي عن الإمام، فإيمان المؤمنين مقرون بإيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم متبعون له ، وإن كان هو صلى الله عليه وسلم صاحب الإيمان الخاص بين خلق الله كلهم .

ثم يبدأ القارئ متابعة قراءته من قوله تعالى : { كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله} أي : كلٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على حسب مقامه .

---

[1] جاء في كتاب القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ :
قوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) قال نافع: تمّ .
قال يعقوب: ومن الوقف التام (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه)
قال: (والمؤمنون) رفع بالابتداء ، لا بفعلهم .اهـ ص ١٢١

وفي الآية ذكر سبحانه أركان الإيمان كلها وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه، ودخل في ذلك الإيمان بالقدر ، لأن الكتب تشتمل الكتب التشريعية الإلهية النازلة على الرسل ، والكتب القضائية التي كتب فيها مقادير الخلائق كلها ، والكتابة على مراتب ، فهناك أم الكتاب وهناك اللوح المحفوظ وهناك صحف الملائكة وهكذا .

{ لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير } ودخل في هذا الإيمان باليوم الآخر التي تصير فيه الخلائق كلها إلى الله تعالى .

وفي هذه الآية يلقن الله تعالى عباده جملة العقائد الإيمانية ليؤمنوا بها ويكونوا على السمع والطاعة لكل ما جاءهم عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى : { وقالوا سمعنا وأطعنا } أي : سمعنا بآذاننا وقلوبنا سماع قبول ، وأطعنا عملاً أي : تحققنا بما سمعنا ، لا أنهم سمعوا بآذانهم وعصوا وخالفوا ما سمعوا كما هو شأن الكفار والمنافقين.

وطاعة الله تعالى هي امتثال أمر الله تعالى عن طواعية ومحبة له سبحانه، لا عن بغض وتضجر من امتثال ذلك الأمر ، فإذا مررت أيها المؤمن أو سمعت قول الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم } الآية ، فقد أسمعك الله تعالى هذه الآية ، فأطِع الله تعالى بما أمرك به في هذه الآية ، ولا تسخر مِن أحد من خلق الله تعالى ، وهكذا يجب أن يكون موقفك مع كل ما جاءك عن الله سبحانه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى يقول : { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } ويقول جل وعلا : { من يطع الرسول فقد أطاع الله}.

ومن تحقق بقول الله عز وجل : { وقالوا سمعنا وأطعنا } كان جوابه عند سؤال الملكين له يسيراً عليه فيقول بلسان حقيقته : فأجبنا واتبعنا[1] .

[1] كما جاء في صحيح البخاري كتاب العلم

وقد ذكر سبحانه عن المؤمنين وأخبر عنهم بصيغة الماضي وهي أقوى من صيغة الأمر - عند من يفهم - فكأنه سبحانه قال للمؤمنين : قولوا وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، فآمنوا وامتثلوا أمر الله تعالى فأخبر سبحانه عنهم بأنهم آمنوا .

قوله تعالى : { لا نفرق بين أحد من رسله } يعني لا نفرق بين أحد من رسله بالإيمان ، بل نؤمن برسل الله تعالى كلهم وأن الله تعالى أرسلهم - عليهم الصلاة والسلام - إلى أقوامهم وأقاموا الحجة عليهم وهكذا، ونؤمن بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو صاحب الرسالة العامة لجميع الأنام على مر الزمان إلى يوم القيامة .

أما التفريق بين الرسل من حيث الفضل فقد فرّق الله تعالى بينهم ، وفضّل بعضهم على بعض فقال عز مِن قائل : { تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله} أي : فضله الله على غيره بالتكليم وهو سيدنا موسى عليه السلام {ورفع بعضهم درجات} وهذا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي رفع الله درجاته على غيره من الرسل الكرام عليهم السلام ، وجمع له جميع مقامات وفضائل من قبله من الرسل وزاده بالمقام المحمدي الخاص به صلى الله عليه وسلم {وآتينا عيسى ابن مريم البينات } ومنها إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى .

وقال تبارك وتعالى : { ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض } إلا أننا نؤمن بهم جميعهم ، ولا نفرّق بينهم من حيث الإيمان برسالاتهم ، أما من حيث الفضل فقد فضّل الله تعالى بعضهم على بعض ، ونؤمن بما أخبرنا الله تعالى عن ذلك.

وقد ذكر سبحانه سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في الوسط بين ذِكر سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام في قوله جل وعز :
{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات } وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { وآتينا عيسى ابن مريم البينات } لأن الوسطية تعني الأفضلية كما هو في لغة العرب، يقال :
"فلان وسط في قومه" أي : شريف في قومه ، و"فلان ذو نسب وسط" أي : نسب شريف عال ، وقال تعالى : {قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون } أي : قال خيرهم وأفضلهم : { ألم أقل لكم لولا تسبحون }، وذلك لأن الوسط بين الأطراف هو الذي جمع كمالات الأطراف كلها[1].

---

[1] قال الطبري في تفسيره ١٤٢/٣ : وأما"الوسط"، فإنه في كلام العرب الخيار، يقال:"فلان وسط الحسب في قومه"، أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، و"هو وسط في قومه، وواسط"، وقال زهير بن أبي سلمى في"الوسط":
هم وسط ترضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم .اهـ
وقال الآلوسي في تفسيره : ومعنى : { وَسَطًا } خياراً أو عدولاً ، وهو في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كالمركز .اهـ ٣٨/٢
وجاء في لسان العرب :
قال الحسن للأعرابي:[خيرُ الأُمور أَوْساطُها] قال ابن الأثير في هذا الحديث:
كلُّ خَصْلة محمودة فلها طَرَفانِ مَذْمُومان، فإِن السَّخاء وسَطٌ بين البُخل والتبذير، والشجاعةَ وسَط بين الجُبن والتهوُّر ، والإِنسانُ مأْمور أَن يتجنب كل وصْف مَذْمُوم، وتجنُّبُه بالتعَرِّي منه والبُعد منه، فكلَّما ازداد منه بُعْداً ازداد منه تقرُّباً، وفي الحديث:[الوالِد أَوْسَطُ أَبواب الجنة] أَي خيرُها، يقال:" هو من أَوسَطِ قومِه " أَي خيارِهم، وفي الحديث أَنه كان من أَوْسَطِ قومه أَي من أَشْرَفِهم وأَحْسَبِهم، وفي حديث رُقَيْقةَ:[انظُروا رجلاً وسِيطاً] أَي حَسِيباً في قومه، ومنه سمِّيت الصلاة الوُسْطَى لأَنها أَفضلُ الصلوات وأَعظمها أَجْراً، ولذلك خُصت بالمُحافَظةِ عليها ، و"فلان وسِيطٌ في قومه" إِذا كان أَوسطَهم نسَباً وأَرْفعَهم مَجْداً، وفي التنزيل العزيز: (وكذلك جَعَلْناكم أُمّة وسَطاً) قال الزجاج: فيه قولان، قال بعضهم:(وسَطاً) عَدْلاً وقال بعضهم: خِياراً ، واللفظان مختلفان والمعنى واحد لأَن العَدْل خَيْر والخير عَدْلٌ. اهـ ٤٢٦/٧

ولقد جمع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كمالات الرسل قبله وزاد عليهم بالمقام المحمدي الخاص به صلى الله عليه وسلم ، وكان هديه أفضل هدي ، وشريعته أفضل الشرائع التي جاء بها من قبله ، كما في المسند عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: [خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم...][1] الحديث

وإذا كانت شريعة سيدنا موسى عليه السلام قد تميزت بالشدة والخشونة [2]، وشريعة سيدنا عيسى عليه السلام تميزت باللين والتسامح[3]، فإن شريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءت بكمال الشرائع كلها، فوضعت الشدة في مواضعها لإقامة حدود الله تعالى ودرء المفاسد، وفيها العدل، ولكنها رغبت أيضاً في العفو والصفح كما قال تعالى: {وأن تعفوا أقرب للتقوى} وقال سبحانه: {ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور }

وكانت أمّته صلى الله عليه وسلم خير الأمم وأفضلها كما قال سبحانه وتعالى : { كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله } ، وقال جل وعلا : { وكذلك جعلناكم أمة وسطاً } أي : خياراً عدلاً { لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً} فتقف هذه الأمة موقف الشهادة على غيرها من الأمم،

---

[1] ١٣٨١٥

[2] وذلك لتُلائم وتُعالج بني إسرائيل الذين كانوا يتصفون بالغلظة والعناد

[3] كما أخبر سبحانه عن عيسى عليه السلام : { ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم } وقال جل وعلا : { وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة } . وجاء في تفسير الطبري عند قوله تعالى: { ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم } قال: كان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى، قال: وكان حرم عليهم فيما جاء به موسى من التوراة، لحوم الإبل ، فأحلها لهم على لسان عيسى، وحرمت عليهم الشحوم، وأحلت لهم فيما جاء به عيسى وفي أشياء من السمك، وفي أشياء من الطير ،وفي أشياء حرمها عليهم، وشددها عليهم، فجاءهم عيسى بالتخفيف منه في الإنجيل، فكان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى صلوات الله عليه.اهـ ٤٣٩/٦

وتشهد أن الرسل قد بلغوا أممهم رسالات ربهم، والشهادة كما يقولون: هي نصف الحكم، لأن الحكم على الآخر يتوقف على شهادة الشاهدين، ولذلك تقف هذه الأمة موقف الشهادة في مكان مرتفع مشرف على باقي الأمم.

روى ابن ماجه في سننه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟] أي : ومَن أعلمكم أن الرسل قد بلغوا أممهم [فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[1].

وفي رواية البيهقي:[قال : فيقال : وما علمكم بهم أنهم قد بلغوا؟ قال : فيقولون: جاءنا رسولنا بكتاب أخبرنا أنهم قد بلغوا فصدقناه ، قال : فيقال: صدقتم، قال : وذلك قول الله عز وجل في كتابه : { وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً }[2] أي كما أخبر القرآن الكريم الذي جاء به سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، فشهدوا بناء على خبر القرآن ، وذلك لأن خبر القرآن أقوى من رؤيا العين ، لأن القرآن الكريم لا يخطئ ، وأما العين فتخطئ في الرؤية، وقد ترى الأشياء على غير حقيقتها ، كما ترى الطائرةَ في جو السماء صغيرةً لا يتجاوز حجمها قدر الكف ولكنها في الحقيقة أكبر من ذلك بكثير ، وقد ترى العين صفائح المروحة ثابتة، لكنها في الحقيقة تدور بسرعة عجزت العين عن إدراك سرعتها ،
وقد تظن الماءَ المنحدر من الأنبوب متوقف لكنه في الحقيقة متتابع

[1] سنن ابن ماجه كتاب الزهد
[2] انظر شعب الإيمان للبيهقي

عجزت العين عن رؤية تتابعه في الجريان ، وهكذا فقد يخطئ نظر الإنسان في كثير من الأحيان ،

فيأتي عقله السليم ويصحح له أخطاء النظر ، إلا أن العقل قد يخطئ أحياناً ويعجز عن إدراك حقيقة بعض الأشياء ، فيأتي خبر القرآن وحديث سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ويهدي العقل للصواب ، لأن شريعة الله تعالى نزلت من لدن أحكم الحاكمين على السيد المعصوم بعصمة الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد بلَّغها الناس ، قال تعالى : { وبالحق أنزلناه وبالحق نزل } فلا يُعرف الحق إلا من الحق وهو الله جل وعلا .

ولا بد للشاهد من تعديل وتزكية حتى تُقبل شهادته ، فمن الذي يُعدِّل ويزكي هذه الأمة المحمدية المتبعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُقبل شهادتها على غيرها من الأمم أن رسلهم قد بلغتهم ؟!

نعم هذا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى فيه { ويكون الرسول عليكم شهيداً } فيشهد صلى الله عليه وسلم لأمته أنهم عدول ثقات أخيار .

ومن هنا تعلم أن مرجع الأمور للذي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي شفع أولاً بأهل الموقف كلهم وأنقذهم من أهوال الموقف وكرباته حتى انفض الأمر بهم إلى الحساب، وجرى هناك التخاصم والجدال بين الأمم ورسلهم فجاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزكّى وعدّل أمته المتبعة له صلى الله عليه وسلم فشهدوا على مَن قبلهم ، وانفض أمر الحساب ليأخذ كل إنسان جزاءه ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزكية والعدالة. آمين

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة السابعة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب فضل سورة البقرة

ثم أورد بسنده إلى أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ][1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

[وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]... فذكر الحديث ثم قال [فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: مَا هِيَ ؟

قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} ، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ][2].اهـ

[1] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن

[2] صحيح البخاري كتاب الوكالة

اعلم أن الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة لهما خصائص وفضائل كما أن خواتيم سورة البقرة - وهي الآيات الثلاث الأخيرات منها - لها من الفضائل والخصائص ما نبه عليه صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة ، فيستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة الآيات الثلاث من آخر سورة البقرة ويكون بذلك قد جمع الفضائل والخصائص في فضل ذلك[1].

أما آية الكرسي فهي سيدة آي القرآن وأعظم آية في القرآن لما جاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سَأَلَ أبي بن كعب رضي الله عنه:

[أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَرَدَّدَهَا مِرَارًا ، ثُمَّ قَالَ أُبَيٌّ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، قَالَ: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ] أي هنيئاً لك بهذا العلم [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ][2] فلم يكن أبيّ بن كعب رضي الله عنه يعلم أي آية هي أعظم إلا أن توجهات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمداداته له كشفت له عن ذلك فعرف وأجاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرَّه صلى الله عليه وسلم وهنأه بهذا العلم، وهو العلم بأسرار وخصائص السور والآيات القرآنية.

ولقد كانت آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله تعالى لأنها جمعت من الأسماء الإلهية ما لم تجمعه آية غيرها، فقد اشتملت على سبعة عشر اسماً من أسماء الله تعالى ما بين صريح ومضمر، ومنهم من قال: إن فيها واحداً وعشرين اسماً من أسماء الله تعالى[3].

---

[1] كما تقدم في بداية المحاضرة السابقة

[2] مسند الإمام أحمد ٢٠٣١٨ وأصل الحديث في صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها

[3] قال الزركشي في البرهان في علوم القرآن : قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُنَيِّرِ الْمَالِكِيُّ كَانَ جَدِّي رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: اشْتَمَلَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ عَلَى مَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى سَبْعَةَ عَشَرَ موضعاً فيها اسم الله ظَاهِرًا فِي بَعْضِهَا وَمُسْتَكِنًّا فِي بَعْضٍ .اهـ ٤٤٣/١

وقال في موضع آخر : وَقَدْ قِيلَ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ اسْمًا مَا بَيْنَ ضَمِيرٍ وَظَاهِرٍ .اهـ ٢٤/٤

وتسمى آية الكرسي أيضاً [سيدة آي القرآن] لِما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ[1]، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَفِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ، هِيَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ].

والسَّنام هو الشيء العالي المرتفع عن غيره ومنه سنام الجمل، ولما اشتملت سورة البقرة على مجامع لمعاني القرآن سميت بـ [سنام القرآن] فقد اشتملت على أصول الفقه الإيمانية والأحكام الشرعية والأوامر والمناهي[2].

وقد سميت آية الكرسي بهذا الاسم إما لذكر الكرسي فيها أو لتكرُّس أي تَجَمُّعِ الأسماء الإلهية فيها ...

أما قوله تعالى : { وسع كرسيه السموات والأرض } يعني أن الكرسي وسع السموات والأرض كما وسع من العوالم ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

وعالم الكرسي [3] عالم كبير تكرَّست أي اجتمعت فيه عوالم كثيرة[4] .. وما نسبة السموات والأرض فيه إلا كحلقة في فلاة كما قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه : [يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلاةٍ] أي : كحلقة ملقاة في فلاة [وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ][5] فما أكثر وأعظم عوالم الله التي تدل على سعة قدرته وعلمه وعظمته سبحانه !

---

[1] جاء في تحفة الأحوذي : قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ) بِفَتْحِ السِّينِ أَيْ رِفْعَةٌ وَعُلُوٌّ، اُسْتُعِيرَ مِنْ سَنَامِ الْجَمَلِ ثُمَّ كَثُرَ اِسْتِعْمَالُهُ فِيهَا حَتَّى صَارَ مَثَلًا، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ الْبَقَرَةُ سَنَامَ الْقُرْآنِ ، قَالَهُ الطِّيبِيُّ .
وَقَالَ الْجَزَرِيُّ فِي النِّهَايَةِ : سَنَامُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ.اهـ ١٩٦/٧

[2] انظر تحفة الأحوذي ١٩٦/٧

[3] وهو من التكرس والتكريس بمعنى التجمع ويقال عن مجموعة أوراق :كراسة، وسمي الكرسي الذي يجلس عليه الإنسان بذلك لأنه يجمع نفسه فيه، وكذا الكرسي الذي يوضع عليه المصحف وهكذا ... ، انظر لسان العرب مادة (كرس)

[4] جاء في تفسير الإمام الرازي ٣ / ٤٥٠ : وأما الكرسي فأصله في اللغة من تركب الشيء بعضه على بعض ، ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض .اهـ

[5] كما في صحيح ابن حبان والأسماء والصفات للبيهقي

ولا تحملنك الظنون والأوهام على أن الكرسي لجلوس الحق سبحانه عليه، فهو سبحانه منزه عن الشَّبه بالمخلوقات ، وكان جل جلاله ولا مكان ولا زمان ولا عرش ولا كرسي ولا شيء ، فكما كان سبحانه غنياً عن كل ما سواه فلا يزال كذلك أزلاً أبداً جل وعلا ، وإنما خلق العرش والكرسي والعوالم كلها لإظهار عظمته وقدرته جل جلاله ، والعرش منزل التدابير الإلهية ، وفي الكرسي تتفصل تلك التدابير وتتنزل في العوالم ..

ومن فضائل آية الكرسي ما جاء في فضل قراءتها وراء الصلوات المكتوبة:

فعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: [من قرأ دُبُر] أي : وراء [كل صلاة مكتوبة] أي : مفروضة [آية الكرسي] أي : واظب على قراءتها [لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت][1]، وكذا قراءتها قبل النوم فمن قرأها قبل نومه وكَّل الله به ملكاً يحفظه من الشياطين والآفات كما تقدم في الحديث : [لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ] .

واعلم أن السر في ذلك يكمن في قوة حضور الإنسان عند قراءته ، فكما لا بد للسلاح القوي من يد عامرة قوية كذلك لا بد لتلك القراءات والأوراد من قلب حاضر حتى تكون فاعليتها أشد وأقوى ..

وقد اعترفت الشياطين نفسها أن من قرأ آية الكرسي قبل أن ينام لا يمكنها أن تقربه أو تمسه بسوء كما تقدم في الحديث ...

قول أبي هريرة رضي الله عنه : [فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ] أي : هو شيطان تمثل بصورة إنسان إلا أن أبا هريرة رضي الله عنه لم يعلم حقيقته حتى أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ...

---

[1] رواه ابن مردويه ، وقال الحافظ ابن كثير: ورواه النسائي في [عمل اليوم والليلة] عن الحسن بن بشر، وأخرجه ابن حبان في [صحيحه] من حديث محمد بن حميد الحمصي، وهم من رجال البخاري، فهو إسناد على شرط البخاري.

قوله صلى الله عليه وسلم :[صدقك وهو كذوب] أي : لقد صدقك هذا الشيطان في هذه المسألة - وإن كان الكذب شأنه وصفته - إلا أنه صدقك في أن آية الكرسي تحفظ قارئها قبل النوم من الشياطين ..

واعلم أن الحصانة والمناعة والوقاية لا تنحصر فقط بالأشياء المادية المحسوسة بل قد تكون بالمعاني والأمور الروحانية العلوية ، وأعظمها كلمات الله تعالى وآياته ، وقد قال سبحانه : { وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً } فهو حجاب يحجب المحتجب به لكنه محجوب مستور عن الناظر إليه ، وهذا أبلغ وأنكى ...

ومن ذلك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة هجرته الشريفة إلى المدينة المنورة خرج بين صفوف المشركين وهو يقرأ أول سورة {يس} إلى قوله تعالى : { فأغشيناهم فهم لا يبصرون } فجعلوا لا يبصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمر بينهم[1] .. فلم يحتجب عنهم صلى الله عليه وسلم بحجاب مادي كخشبة أو حجر ولكنه حجاب لطيف يحجبه صلى الله عليه وسلم عنهم ولا يرونه، وهذا أشد وأقوى لأن من رأى الحجاب قد يسعى إلى إزالته ليصل إلى المحتجب ، لكنه لا يرى الحجاب ولا من احتجب به، وفي هذا من تصغير وإذلال العدو ما فيه ..

ومن فضائل آية الكرسي ما رواه الإمام أحمد في مسنده عنه صلى الله عليه وسلم : [والذي نفسي بيده إن لها] - أي لآية الكرسي- [لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش] [2]...

وفي الحديث عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : [إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ: التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ، أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ] [3]

---

[1] انظر دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي

[2] المسند ٢١٣١٥

[3] سنن ابن ماجه كتاب الأدب

يدل ذلك على أن تلاوة القرآن وذِكر الله بالتحميد والتسبيح والتهليل والتكبير وغيره تتمثل بصور نورانية تصل إلى عرش الرحمن جل جلاله ، وتذكِّر بقارئها وتشفع به في الدنيا قبل الآخرة ، لقوله صلى الله عليه وسلم: [أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ، أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ] - أي الآن في الدنيا - ، وقد قال عز من قائل في كتابه العزيز : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } فالكلام الطيب والعمل الصالح ترفعه الملائكة إلى الله تعالى ، ويحط عند سدرة المنتهى ، وتشع أنواره إلى عرش الرحمن ، كل ذلك تكريم وتشريف لهذا الكلم الطيب والعمل الصالح، إذ إن من اللائق به أن يرفع إلى أعلى عليين لا أن يبقى في الأرض ، بل هو أنفس وأعظم من أن تكون خزانة الذهب والفضة الأرضية حافظة له بل يرفع إلى ما هو أجلّ وأعلى ..

والعمل الصالح هو العمل المصحوب بالإخلاص لله تعالى ، الموافق لِما شرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ..

وإذا كان العمل الصالح والكلم الطيب يرفع إلى سدرة المنتهى بل إلى عرش الرحمن فما بالك بالإنسان الصالح الذي صدر منه هذا العمل الصالح؟! وإذا كان كتاب الأبرار - أي : كتاب أعمالهم الصالحة وأقوالهم الطيبة - في أعلى عليين ، فما بالك بذواتهم ؟! ... نعم إن مقرهم في جنة عدن ، جوار عرش الرحمن ، فوق السماء السابعة ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى كما قال صلى الله عليه وسلم : [فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ][1]، وكما قال تعالى : { إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر } فبدء الجنة من عالم السدرة وانتهاؤها عند عرش الرحمن ولا يعلم عِظمها إلا الله تعالى الذي خلقها ، قال سبحانه : { وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض } أي : سماوات العالم الآخر وأرضه لقوله تعالى : { يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات } أي : أيضاً تبدل ...

[1] طرف حديث في صحيح البخاري كتاب التوحيد

وأما الجنة فتستمد أنوارها من قناديل العرش ، وأنوار العرش أنوار قوية باهرة لذلك فإن أهل الجنة في ظلال دائم ، لقوله تعالى : { مثل الجنة التي وعد المتقون} - أي : صفتها - { أكلها دائم وظلها } أي : دائم أيضاً.

وإذا كان ظل الدنيا للابتعاد عن حر الشمس ووهجها فإن الجنة لا شمس فيها ولا قمر ، كما أخبر سبحانه : { لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً } وإنما الظل فيها لتخفيف وتعديل نسبة الأنوار الظاهرة الباهرة حتى يكونوا في نعيم دائم ، فظلال الجنة نورانية ومنها الظلال الرحمانية ، ومنها ظلال تجليات رب العالمين وهكذا .

وقد قال سبحانه : { إن المتقين في جنات ونهر }

قال بعض العلماء : في جنات ونهار ، أي : في جنات وأنوار وإشراقات إلهية عالية .

ونسأل الله تعالى الجنة برفقة فاتح باب الجنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. آمين

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الثامنة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب فضل سورة البقرة [1] ، ثم أورد بسنده إلى أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : [وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فَقَصَّ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ]. اهـ

وإن سورة البقرة هي أطول سورة في القرآن الكريم ، وهي أجمع سورة للأحكام والعقيدة ، وقد ختمها الله تعالى بآيتين فيهما تلقين عقيدة الإيمان للمؤمنين ، وما يجب على المؤمنين أن يكون موقفهم مع الله تعالى ومع رسوله الكريم ﷺ ، وهو السمع والطاعة ، وقد جاءت الآية على طريق الخبر : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين}.

[1] كما في كتاب فضائل القرآن

وهذا ليتضمن معنى الأمر ، وكأنه جل وعلا يقول : (قولوا هذا وتحققوا به)، فكأنهم قالوا ، فأخبر عنهم بما قالوا وتحققوا به .

قوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه }

ذكر سبحانه سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في الآية بصفة الرسالة من باب التكريم والتشريف له ﷺ كما هي عادته سبحانه في القرآن الكريم بأن يذكره ﷺ بمقاماته ومراتبه ، كقوله تعالى : { يا أيها النبي } { يا أيها الرسول } { يا أيها المدثر } { يا أيها المزمل } تشريفاً وتكريماً له صلى الله عليه وآله وسلم .

قوله تعالى: { بما أنزل إليه من ربه } وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى عليه بالوحي القرآني ، والحكمة وهي الأحاديث النبوية الشريفة التي أنزلها الله تعالى عليه بالوحي النبوي ، وفي هذا يقول سبحانه : { وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً } ، وقال عز من قائل : { واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً } ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : [ألا إني أُوتيت الكتاب ومثله معه][1] أي : وحياً من الله تعالى وهي الأحاديث النبوية الشريفة.

قوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه } أي : من ربه الذي رباه بالتربية الخاصة ، وعناه بالعناية الخاصة ، وهو ربه سبحانه أعلم به وبما خصه من العلوم والمعارف والمقامات ، وهو جل جلاله الذي أعده وأمدَّه لتقبل نزول القرآن الكريم عليه وما هنالك من الوحي النبوي وما فيه من علوم وأسرار .

ولا تفهم من نزول القرآن الكريم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه مجرد سماع للقرآن الكريم كما تسمعه أنت من قارئ مثلاً،

بل إن نزول القرآن الكريم هو نزول في القلب والروح والعقل والحواس والمدارك وسائر الذرات حتى تنصبغ بالصبغة القرآنية .

---

[1] طرف حديث في المسند ١٦٥٤٦ وسنن أبي داود كتاب السنة

ولا يمكن لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتحمل نزول القرآن الكريم لأن هذا الأمر يحتاج إلى إعداد من الله تعالى وإمداد منه سبحانه وتعالى ، ولم يكن هذا إلا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولما كان الوحي القرآني ينزل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحمر وجهه الشريف ﷺ ويتفصد جبينه عرقاً ، ولا يكلم أحداً ، ولا يكلمه أحد ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ينتقل إلى طور علوي ملكوتي يتلقى فيه القرآن الكريم من جبريل عليه السلام ، وجبريل عليه السلام كما هو على حقيقته الملكية الجبريلية .

روى البخاري عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : [يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا] [1].

قوله تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير } .

أي : آمنوا بما أُمروا به تبعاً لرسول الله ﷺ فذكر سبحانه الإمام أولاً وهو سيدنا رسول الله ﷺ، ثم ذكر المأمومين وهم أتباعه الذين آمنوا به وبما جاء به ﷺ .

[1] صحيح البخاري كتاب بدء الوحي

قوله تعالى : { وقالوا سمعنا وأطعنا } أي : بعد أن تحققوا بشعب الإيمان الاعتقادية قالوا : سمعنا لأوامر الله تعالى التي جاءت في كتاب الله تعالى، والواردة على لسان سيدنا رسول الله ﷺ ، سمعنا ذلك سماع قبول وإجابة ، وأطعنا : أي امتثلنا لأوامر الله تعالى عن طواعية منا قلبية ، وعن محبة ، لا عن كراهية .

وذلك لأن الطاعة هي الانقياد عن طوع قلبي لا عن كره أو بغض ، ويدل على ذلك قوله تعالى : { ثم استوى إلى السماء وهي دخان } وهذا في طور من أطوار تخليق الله تعالى للسماوات والأرض { فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً } أي : كونا خلقاً كما أردت ، فأمرهما سبحانه أن يمتثلا أمره سواء ذلك عن طواعية منهما أو إكراه { قالتا أتينا طائعين } أي : امتثلنا أمرك يا رب عن طواعية ومحبة ، وهذا مقتضى قوله سبحانه وتعالى : { والله غالب على أمره } فإذا أراد شيئاً كان لا محالة [1] ، وأما الانقياد والامتثال للأمر عن كراهية فلا يسمى طاعة .

---

[1] أما قوله تعالى : { ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال } فجميع المخلوقات تسجد لله طوعاً ، ويشمل هذا المؤمنين من بني الإنسان ؛ وأما السجود لله تعالى كرهاً فهذا يكون للكفار ، إذ إن حقائق ذراتهم تسجد لله تعالى وإن كانوا هم يستكبرون عن السجود لله تعالى ، ولذلك فإن العذاب في الآخرة يكون على الناحية الاختيارية من الكافر والذي استكبر عن السجود لله تعالى باختياره .
وانظر قوله تعالى : { ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس } وهم المؤمنون { وكثير حق عليه العذاب } وهم الكافرون الذين استكبروا عن السجود لله تعالى { ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء }
وهذا يدل على أن سجود هذه الأشياء التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في الآية سجود تكليفي حقيقي ؛ فكما كلف سبحانه الإنسان أن يسجد له ، كلف تلك المخلوقات أن تسجد له ، دل عليه قوله جل وعلا : { وكثير حق عليه العذاب } وهم الكافرون الذين امتنعوا عن السجود لله تعالى ، وكما أن سجود الإنسان المؤمن لله تعالى سجود حقيقي على أعضائه السبعة ، وقد قرن سبحانه سجود الأشياء بسجود الإنسان ، فكذلك سجود تلك الأشياء سجود حقيقي لا مجازي ، لكن سجود كل شيء على حسبه ، وهو سجود يناسب خلقه وصورته .

ولذلك فقوله سبحانه وتعالى مخبراً عن المؤمنين قولهم : { سمعنا وأطعنا} يعني أنهم سمعوا لأوامر الله تعالى سماع قبول وإجابة ، وامتثلوها عن طواعية أي : عن محبة الله تعالى ورغبة لا عن كراهية ،

فهم يُصلّون ويصومون ويتصدقون بدافع المحبة لله تعالى والرغبة فيما عنده ، لا أن أحداً يتمنى في نفسه لو أن الله تعالى لم يأمره بالصلاة ، أو ينهَه عن كذا وكذا .

ولينظر كل إنسان في نفسه كيف موقفه مع العبادات ، هل هو موقف الطائعين المحبين أم موقف الكارهين أو المستثقِلين ؟

فإن وجد في نفسه كرهاً او استثقالاً أو سآمة من عبادة الله تعالى وأوامره ، فليحاسب نفسه وليتخلص من صفة النفاق التي فيه ، إذ قال الله تعالى في المنافقين : { وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً } .
وإن وجد في نفسه محبة لعبادة الله تعالى ورغبة في ذلك فليحمد الله تعالى وليسأله الثبات والزيادة .

قوله تعالى : { غفرانك ربنا } أي : اغفر غفراناً أنت أهل له بحيث تأتي مغفرتك على جميع ذنوبنا ما علمنا منها وما لم نعلم .

فإما أن كلمة { غفرانك } هي مفعول مطلق على معنى (اغفر غفرانك)، أو أنها مفعول به أي : (نسألك غفرانك) أي : مغفرتك التي أنت أهل لها، لأنه سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة .

{ وإليك المصير } : أي : فأنت بدأت خلقنا وإليك مصيرنا ، فأحسن مصيرنا إليك بأن تكون قد غفرت لنا ورحمتنا .

قوله تعالى : { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } : وفي هذا بيان منه سبحانه أنه لا يكلف نفساً بما لا تطيق ، فلما قال المؤمنون : { سمعنا وأطعنا } بيَّن سبحانه أنه لا يكلفهم إلا ما يطيقونه ، فليس في أوامر الشريعة ما لا تسعه نفس مكلف ، لأنه لا يقال عن الشيء أنه واسع إلا إذا كان يسع الشيء ويسع غيره أيضاً ،

وهذا قوله تعالى : { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها } فجاءت التكاليف الشرعية بحيث تتسع لها النفوس ولا تضيق بها .

فمثلاً ترى القوة البشرية تتسع لأداء عشر صلوات في اليوم والليلة ، إلا أن الله تعالى لم يكلفنا إلا بخمس صلوات ، وهكذا سائر التكاليف الشرعية .

ومن وهن عظمه أو مرض جسمه ولم يستطع الصلاة قائماً فليصلّ قاعداً، ولا تصح صلاة الفرض إلا بالقيام لمن استطاع ذلك ، وأما صلاة النفل فلكل إنسان أن يصليها قائماً أو قاعداً ، لكن الأجر في القعود لمن استطاع القيام هو نصف الأجر فيما لو صلاها قائماً .

وهكذا فلقد أعطى اللهُ تعالى الإنسانَ نسبة من القوى والمدارك والحواس، وأمره بأوامر شرعية مصلحة له على نسبة ما أعطاه من القوة، بل على نسبة أقل مما أعطاه من القوى ، بحيث إن القوى التي عند الإنسان تتسع لما أمره الله تعالى وزيادة .

قوله تعالى : { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت }: وفي هذا بيان من الله تعالى على أنه سبحانه غني عن العالمين فلا تنفعه طاعاتهم له جل وعلا ، ولا تضره معاصيهم ، بل إن نفع وخير طاعاتهم يعود إليهم ، وضرر وشر معاصيهم يعود وبالاً عليهم ، فكما كان سبحانه غنياً عن العالمين قبل أن يخلقهم ، فهو لا يزال غنياً عنهم بعد أن خلقهم ، وكيف يتصور في العقل حاجة الرب سبحانه وتعالى إلى خلقٍ هو خلقهم وأمدهم ورزقهم ؟!

بل إن الخلق كلهم فقراء إلى الله تعالى ، والله تعالى هو الغني الحميد ، وقد قال سبحانه وتعالى : { يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز }.

والفقر في الآية هو الفقر الذاتي الحقيقي ، لا فقر المال فحسب ، بدليل قوله تعالى : { إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد } أي : فأنتم مفتقرون إلى الله تعالى أن يمدكم بالوجود في كل لحظة ، وأن يثبت عليكم نور الوجود وما تحتاجونه لبقاء وجودكم كالماء والهواء والغذاء ، فلولا أن الله تعالى يمدك بالسمع والبصر أنى لك أن تسمع وتبصر ؟!

وفي هذا يقول سبحانه : { أمن يملك السمع والأبصار }.

وهكذا سائر حواسك وقواك .. أنت لا تملك شيئاً منها ، فأنت فقير إلى الله تعالى كل الفقر أن يمدك بما تحتاج إليه من حياة ووجود وسمع وبصر ورزق ومال ...

قلا تنكر فقرك إلى الله تعالى ، واعترف بقيومية الله عليك .

قوله تعالى : { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت }: أي لكل نفس ما كسبت من أعمال الخير ، وعليها وبال ما اكتسبت من أعمال الشر .

ومن هنا يفهم العاقل أن التكاليف الشرعية هي مصلحة ومنفعة للإنسان ، فمن قام بها ممتثلاً أوامر الله تعالى ومنتهياً عما نهى عنه سبحانه عاد خير ونفع ذلك له ، ومن أهملها وارتكب المخالفات عاد عليه ضرر ووبال فعله بالشر .

قوله تعالى : { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت }

فرَّق سبحانه بين فعل الخير بقوله جل جلاله : { ما كسبت } ، وفعلِ الشر بقوله عز وجل : { ما اكتسبت } حتى يبين أن كسب الإنسان للخير لا يحتاج إلى صعوبة ومشقة، بل إن نفسه مفطورة على فعل الخير ، أما فعل الشر فيحتاج إلى تكلف وبذل مشقة ، وذلك لأن زيادة المبنى في فعل { اكتسبت } يدل على زيادة المعنى.

ومن ذلك ما يجد الإنسان من نفسه إن هو أراد معصية الله تعالى ، فتراه يجر نفسه ويقاومها ويتجاهل واعظ قلبه وتأنيب ضميره ، حتى إذا أقدم على فعل المعصية مرة بعد مرة ضعف واعظ الإيمان في قلبه فلا يجد في نفسه ما وجد أول مرة عندما أقدم على معصية الله تعالى .

قوله تعالى : { ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا } : وفي هذا يعلِّم الله سبحانه وتعالى عباده كيف يدعونه ، وذلك بعد أن لقَّنهم أركان عقيدتهم، وكأنه سبحانه قال : قولوا : { ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا } .

والنسيان قد يطلق على ذهاب الشي من ذاكرة الإنسان ، وقد يُطلق على ترك الشيء وإن كان حاضراً في الحافظة ، كما يُطلق الخطأ على فعل شيء دون قصد ، وقد يطلق الخطأ على الخطيئة وهي فعل القبيح عن تقصد .

وعلى ذلك فقد يكون المراد من النسيان في قوله تعالى : { ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا } أي : إن تركنا بعض الأوامر والواجبات علينا { أو أخطأنا } أي : إن ارتكبنا بعض المخالفات والمناهي التي نهيتنا عنها يا رب .

أو : أن المراد من النسيان غياب الشيء عن الذاكرة ، والمعنى: لا تؤاخذنا إن صدر منا شيء لا ترضاه عن نسيان منا ، أو : أننا أخطأنا أي : فعلناه بدون تقصد .

فإن قيل : إن الله تعالى لا يؤاخذ الإنسان إن نسي شيئاً من ذاكرته أو أخطأ من غير قصد ؟!

فيقال : إن الله تعالى لا يؤاخذ الإنسان على الخطأ والنسيان فضلاً منه سبحانه ، لكنه إذا آخذ فقد آخذه بالعدل ولم يظلمه، لأن النسيان نتيجة لعدم الاهتمام بالأمر ، والخطأ نتيجة الغفلة وعدم الانتباه والتيقظ في الأمر ، فإن آخذ سبحانه على النسيان والخطأ فقد آخذ على عدم الاهتمام والغفلة ، فافهم .

وقد تفضل سبحانه على عباده لما قالوا : { ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا } فلم يؤاخذهم ، وقال جل جلاله : [نعم].

فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ :

[لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

{ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا : أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِن الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ ،

وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ : (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) ؟ بَلْ قُولُوا : { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } قَالُوا : { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا :

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا }

قَالَ : نَعَمْ

{ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا }

قَالَ : نَعَمْ

{ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ }

قَالَ : نَعَمْ

{ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }

قَالَ : نَعَمْ] [1].

ومعنى [نعم] : أجبتك جواباً ، ونِعم الجواب جوابي .

وروى ابن ماجه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه][2].

---

[1] صحيح مسلم كتاب الإيمان

[2] سنن ابن ماجه كتاب الطلاق

وفي رواية له أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه][1].

وجاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم : [من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها][2] .

وفي رواية له عن أبي هريرة رضي الله عنه : [فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : { أَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } [3] فلم يؤاخذه سبحانه على نسيانه .

قوله سبحانه وتعالى : { ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا } أي : لا تحمل علينا تكاليف فيها ثقل ومشقة علينا كما حملتها على الذين من قبلنا بسبب ذنوبهم وعنادهم ومعارضتهم لرسلهم عليهم الصلاة والسلام ، كما جرى من بني إسرائيل مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام .

ومن تلك التكاليف الشاقة عليهم أنه سبحانه شرع القصاص في القتل وإن أخطأ الإنسان في القتل فلا تجزئه دية إلا أن يقتل قصاصاً ، وكذلك لو أصاب ثوبه نجاسة فلا يُطهِّره الماء بل يطهر بقص موضع النجاسة من الثوب[4] ، يقول الله تعالى : { فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً } .

قوله تعالى :{ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به } أي : بأن نقع في المعاصي والذنوب فتنزل علينا المصائب والنوائب والمهلكات والعقوبات الإلهية .

{ واعف عنا واغفر لنا وارحمنا } فالعفو هو عدم المعاقبة ، فلا تعاقبنا يا رب إن نحن أذنبنا .

---

[1] المصدر السابق
[2] صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة
[3] المصدر السابق
[4] انظر تفسير الآلوسي ٢/ ٤٠٥

{ واغفر لنا } أي : استرنا ولا تفضحنا ، وذلك لأن شأنك يا رب أن تستر القبيح وتظهر الجميل ، وأما من فضح نفسه ولم يُبالِ فإن الله تعالى يفضحه.

ألا ترى أنه سبحانه ستر ما في أحشائك من أوساخ وأوخام ورائحة كريهة ، وأظهر منك الجمال والحسن ؟!

فلا تظهر من نفسك إلا الجميل الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى .

جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: [يا من أظهر الجميل وستر القبيح ، يا من لا يؤاخِذ بالجريرة ، ولا يهتك الستر ....][1] .

قوله تعالى : { وارحمنا } أي : أغدق علينا كل خير قد اشتمل عليه هذا الدعاء وهو : { واعف عنا واغفر لنا وارحمنا } فقد اشتمل على التخلي من آثار الذنوب ، والتحلي بالخيرات والرحمات الإلهية .

قوله تعالى : { أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين } أي : أنت سيدنا ومتولي أمورنا فانصرنا على القوم الكافرين من الإنس والجن ، ومن جملة الكافرين : الشياطين ، ومنهم الشيطان الذي وُكِّل بكل إنسان حتى يزين له الشر ، فسل الله تعالى أن ينصرك عليه .

وفي الحديث الذي رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ ، قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ][2].

ومَن نصره الله تعالى على الشياطين فقد ارتقى إلى مصاف الملائكة عليهم السلام .

---

[1] طرف حديث رواه الحاكم في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذِّكر، وقال : صحيح الإسناد ، فإن رواته كلهم مدنيون ثقات اهـ .

[2] صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار

وجاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [إن الله عز وجل ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش ، فتعلموهن ، وعلموهن نساءكم وأبناءكم ، فإنهما صلاة وقرآن ودعاء][1].

وفي رواية : [إنهن قرآن ، وإنهن دعاء ، وإنهن يدخلن الجنة ، وإنهن يرضين الرحمن][2] .

وما ظنك أيها المؤمن بدعاء علَّم الله تعالى عباده أن يدعو به ؟

ألا يجيب من دعاه به ؟!

سبحانه هو أجل وأعظم أن يحرم العطاء لمن سأله ودعاه .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: [كَفَتاه] أي من شر الجن والإنس .

وعن ابن مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [أنزل الله آيتين من كنوز الجنة ، كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ، من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل][3].

وقال سيدنا علي رضي الله عنه : [ما أرى أحداً يعقل، بلغه الإسلام، ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، فإنها من كنز تحت العرش][4]

يشير رضي الله عنه إلى مواظبة الصحابة الكرام رضي الله عنهم على قراءة هاتين الآيتين كل ليلة .

---

[1] رواه البيهقي في شعب الإيمان واللفظ له والحاكم في المستدرك والدارمي في سننه كلاهما في كتاب فضائل القرآن بلفظ قريب .

[2] قال الحافظ السيوطي في الدر المنثور : أخرجه أبوعبيد وابن الضريس وجعفر الفريابي في الذكر عن محمد بن المنكدر .

[3] عزاه الحافظ السيوطي في الدر المنثور إلى ابن عدي

[4] انظر تفسير ابن كثير عند الكلام على فضل هاتين الآيتين الكريمتين ، وانظر فضائل القرآن لابن الضريس

والأجدر بالمؤمن أن يقرأ من قول الله سبحانه وتعالى : { لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير } إلى تمام السورة حتى يجمع الفضائل التي وردت فيها ، لِما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في فضل قراءة خواتيم سورة البقرة .

ومن ذلك ما رواه مسلم عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما قَالَ :

[بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ] [1] .

وجاء عن ابن مسعود رضي عنه في فضل قراءة عشر آيات من سورة البقرة للحفظ والحصانة : أربع من أولها ، وآية الكرسي ، وآيتين بعدها ، وثلاث آيات من آخرها .

فقد روى الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : [من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة ، وآية الكرسي ، وآيتين بعد آية الكرسي ، وثلاثاً من آخر سورة البقرة ، لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ، ولا شيء يكرهه ، ولا يُقرآن على مجنون إلا أفاق] [2] .

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين .

---

[1] في صحيحه كتاب صلاة المسافرين

[2] في سننه كتاب فضائل القرآن

المحاضرة التاسعة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب فضل سورة الكهف

ثم أورد بسنده إلى الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ:

[كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ[1] ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو ، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالْقُرْآنِ][2]. اهـ

وقد جاء في فضل قراءتها أحاديث كثيرة منها :

ما جاء في صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعدما حذَّر من الدجال : [فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ][3].

وجاء في مسند الإمام أحمد عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : [مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآخِرَهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنْ قَدَمِهِ إِلَى رَأْسِهِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا كُلَّهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ][4].

---

[1] جَمْع شَطَنٍ بِفَتْحِ الْمُعْجَمَة وَهُوَ الْحَبْل

[2] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن

[3] طرف حديث في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة وجاء في سنن أبي داود بزيادة : [فَإِنَّهَا جِوَارُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ].

[4] ١٥٠٧٣

وجاء في مصنف عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : [من قرأ عشر آيات من أول الكهف عُصم من فتنة الدجال].

وفي روايةٍ في مسند الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ][1].

وفي رواية في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ][2].

وفي رواية لمسلم أيضاً : [من آخر سورة الكهف].

وفي رواية للترمذي : [مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ][3].

ولكي يأخذ الإنسان بهذه الروايات كلها فعليه أن يعمل بالأحوط ويحفظ ويقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف وعشر آيات من آخرها ، فيحفظه الله تعالى من فتنة الدجال ، والتي هي من أعظم الفتن ، فمن باب أولى يحفظه الله تعالى من الفتن التي هي دون فتنة الدجال .

وقد علَّم النبي صلى الله عليه وسلم أمّته أن يستعيذوا بالله تعالى من فتنة الدجال لشدة خطرها على إيمان المؤمن ودينه [4]، فإنه يأتي بالعجائب والغرائب ، منها : الجسمية والنفسية والسحرية والجوية ، ولا ينجو مِن فتنته إلا مَن أعاذه الله تعالى وحفظه .

---

[1] ٢٦٢٤٤

[2] صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها

[3] سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن

[4] ومن هذا ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو: [أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ ، وَالْكَسَلِ ، وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ].

وإن الدجال الذي حدث عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر منه وأمر بالاستعاذة منه هو دجال آخر الزمن ، إلا أن هناك فتناً كبيرة تسبق ظهور الدجال ، وقد أخبر عنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما جاء في صحيح البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
[لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ][1].

وفي رواية عند أحمد : [وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي] [2] صلى الله عليه وسلم .

وقد بين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها - كما تقدم ذكر الروايات - حفظه الله تعالى من فتنة الدجال الكبرى ، أي : وحفظه من جميع الفتن والتي هي دون فتنة الدجال ، وحفظ عليه دينه وثبت عليه إيمانه .

وإن المناسبة في ذلك هي أن الله تعالى حفظ أهل الكهف الذين فرُّوا بدينهم من بطش الملك الكافر الظالم وأووا إلى الله تعالى فآواهم إليه سبحانه وحفظهم في الكهف ثلاثمائة سنة وتسع سنين ، كما أخبر سبحانه: { إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً }
وقال عز من قائل : { ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً } أي : من السنين القمرية [3]، ثم بعثهم الله تعالى من بعد نومهم وأيدهم بالكرامات وخوارق العادات ، وجعلهم عبرة وآية للناس تدل على قدرة الله تعالى ورحمته سبحانه وحفظه لمن لجأ إليه ، وإكرامه سبحانه لأوليائه .

---

[1] صحيح البخاري كتاب الفتن وصحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة
[2] ٢١٣٦١
[3] انظر تفسير الخازن ٣٠٨/٤

ومما جاء في فضل قراءة سورة الكهف ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ][1].

ورواه الدارمي في سننه موقوفاً على أبي سعيد رضي الله عنه ، ولفظه : [مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ][2] .

وروى أَبُو بكر بن مرْدَوَيْه فِي تَفْسِيره بِإِسْنَاد لَا بَأْس بِهِ عَن ابْن عمر رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم:[من قَرَأَ سُورَة الْكَهْف فِي يَوْم الْجُمُعَة سَطَعَ لَهُ نور من تَحت قدمه إِلَى عنان السَّمَاء يضيء لَهُ يَوْم الْقِيَامَة وَغفر لَهُ مَا بَين الجمعتين][3] أي : من صغائر الذنوب، أما الكبائر فلا بد لها من توبة خاصة ، ويُحمل على ذلك جميع ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من أحاديث في هذا الشأن ، وهذه القاعدة دل عليها قوله صلى الله عليه وسلم: [الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ][4] ، فلا بد إذاً للكبائر من توبة خاصة ، وقد ينوي الإنسان ويعزم على التوبة أثناء قيامه بمثل هذه الأعمال ، كقراءة سورة الكهف أو غير ذلك مما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فيغفر الله تعالى له ويتوب عليه إن هو صدق في توبته وندم على فعله الذنْب ، أما إن كان الذنْب يتعلق بحقوق العباد المالية أو العِرضية من سب وغيبة وقدح فعليه أداء الحقوق لأهلها أو طلب العفو والسماح عنه منهم حتى يقْبل الله تعالى توبته .

---

[1] كما في السنن الكبرى للبيهقي ومستدرك الحاكم وقال : صحيح الإسناد
[2] في كتاب فضائل القرآن
[3] كما في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري
[4] صحيح مسلم كتاب الطهارة

وقد جاء في بعض الروايات المتقدمة قوله صلى الله عليه وسلم : [مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ....] الحديث ، فلو أخذ الإنسان بالروايتين فجمع بينهما بأن قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة ويومها لكان قد أخذ بالأحوط وضمِن الأجر والنور ، وإن كان قد ورد في غالب الرِّوايات قراءة سورة الكهف يوم الجمعة .

وكان سيدنا الحسن بن سيدنا علي رضي الله عنهما يقرأ سورة الكهف كل ليلة[1] ، لِما ورد في الحديث الذي أخرجه ابن مردويه وغيره عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [البيت الذي تقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة][2].

فانظر في فضائل قراءة هذه السورة ، فإن قراءة عشر آيات من أولها وآخرها كل يوم تحفظك من الفتن كلها حتى من فتنة الدجال ، وقراءتها ليلة الجمعة ويومها تغفر لك ذنوبك ، وتضيء لك على الصراط ، وتصل نور قلبك بالبيت العتيق ، وقراءتها كل ليلة تحفظك من الشيطان ومكائده ، فللسُّورة نفسها خصائص متعددة إذا قرأتها في أوقاتها المعينة التي حددها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن العلم بهذه الأمور لا يُكتسب بالتفقه والبحث بل هو علم نبوي غيبي أفاضه الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلَّمه خصائص السور والآيات القرآنية ، وفضائل قراءتها في أوقات معينة .

ومن ذلك : أن قراءة آية الكرسي وراء كل صلاة ترفع الحجب بينك وبين دخول الجنة ، أما قراءتها قبل النوم فتحفظك من الشيطان تلك الليلة كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : [من قرأ آية الكرسي دُبُر] أي : وراء [كل صلاة مكتوبة] أي مفروضة [لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت] [3].

---

[1] انظر كتاب قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي

[2] عزاه في كنز العمال إلى الطبراني وابن مردويه وأبي الشيخ في الثواب

[3] عزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى النسائي والروياني وابن حبان والدارقطني فى الأفراد والطبراني والضياء عن أبي أمامة رضي الله عنه

وجاء في بعض الآثار أن من قرأ خمس آيات من آخر سورة الكهف قبل نومه سخَّر الله تعالى له ملَكاً يوقظه من نومه متى أراد وقت السحر ، ولا تستبعد ذلك ، فقد يحرك الله تعالى سبباً من الأسباب بواسطة الملك، كإغلاق باب ، أو بكاء طفل ، أو يسخر له من يوقظه من أهله .

فقد جاء عَنْ أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: [أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِسُورَةٍ مَلَأَ عَظَمَتُهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلِكَاتِبِهَا مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَرَأَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ قَرَأَ الْخَمْسَ الْأَوَاخِرَ مِنْهَا عِنْدَ نَوْمِهِ بَعَثَهُ اللَّهُ أَيَّ اللَّيْلَ شَاءَ؟

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: سُورَةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ][1].

ومن السور التي ينبغي قراءتها كل ليلة سورة الواقعة لتيسير الأرزاق الحسية والجسمانية والإيمانية القلبية وتوسعتها .

فقد روى الديلمي في الفردوس عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً :
[علِّموا نساءكم سورة الواقعة ، فإنها سورة الغنى].

وكذلك سورة الملك التي تقي قارئها كل ليلة ، تقيه من فتنة القبر وعذاب القبر كما جاء في سنن الترمذي عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ :

[ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ ، وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } حَتَّى خَتَمَهَا ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ { تَبَارَكَ الْمُلْك } حَتَّى خَتَمَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ][2].

---

[1] انظر الأمالي الخميسية للشجري وقد عزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى الديلمي وابن مردويه

[2] انظر سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن

وفتنة القبر هي سؤال الملكين الميت في قبره عن التوحيد والإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ويشتدُّ هذا السؤال على الكافر والمنافق إذ يأتيه الملكان بصورة منكَرة وقول منكر ، ويغلظان عليه في السؤال ، فيأخذه الفزع والدهشة ، فيضطرب ويمتحن ويضل في جوابه ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة بجاه حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم .

وأما سؤال المؤمن فيكون على طريق المذاكرة والمؤانسة والملاطفة ، ويكون ذلك على حسب قوة إيمانه وحبه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يشتد السؤال على ضعيف الإيمان والذي ارتكب الكبائر ولم يتب منها قبل موته ويطول به الأمر إلى سبعة أيام[1] .

وأما تسمية ملَكي السؤال بـ [منكر ونكير] فهي ثابتة في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم [2]، لأنهما يسألان الكافر والمنافق بأسلوب المنكر له حتى ينزلق في الجواب ويضل .

وأما من أُشرب قلبه حب النبي صلى الله عليه وسلم فيكون جوابه سريعاً يُنبئ عن حقيقة إيمانه وحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، خاصة أن هناك من المؤمنين المحبين من يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يُقال له : [ما كنت تقول في هذا الرجل ؟][3]

ومنهم من يلقنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الجواب ، ونسأل الله تعالى ذلك من فضله بجاه حبيبه الأعظم ونبيه الأكرم صلى الله عليه وسلم .

---

[1] قال السيوطي في الدر المنثور ٦ \ ٦١ : وأخرج أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية عن طاوس رضي الله عنه قال : [إن الموتى يُفتنون في قبورهم سبعاً ، فكانوا يستحبون أن يُطعم عنهم تلك الأيام] . اهـ

[2] جاء في سنن الترمذي كتاب الجنائز عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [إذا قُبِر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر ، وللآخر : النكير....] الحديث

[3] كما جاء هذا في صحيح البخاري كتاب الجنائز وصحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

واعلم أن القبر هو أول برزخ من برازخ الآخرة يدخله الإنسان بعد موته ، واعلم أن الآخرة دار ظهور الدقائق وتحقيق الحقائق كما قال الله تعالى في وصف يوم القيامة وأنه يوم تحق فيه الحقائق ، قال جل وعلا : { الحاقة * ما الحاقة }.

فإذا علمت هذا تعلم أن جواب الميت في قبره لا يكون صادراً عن حافظته الذهنية، لكنه جواب ينبئ عن حقيقته التي تحقق بها ، ألا ترى إلى العجوز الأميّة المؤمنة والتي نشأت على الفطرة ولم تتعلم الكتابة ولا القراءة فإن ما تحققت به من إيمان وفطرة يُنبِئ عنها .

وإن العلم بخصائص وفضائل وأسرار الآيات والسور القرآنية هو من جملة العلوم النبوية التي أفاضها الله تعالى على نبيه وحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن العلوم النبوية التي أُوتيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي علوم خاصة به ، لا يمكن لأحد غيره صلى الله عليه وسلم أن يتحمل ولو شيئاً منها لعدم استعداده لذلك ، ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : [إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّت السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ]

قال أبو ذر رضي الله عنه : لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ] [1]

قوله صلى الله عليه وسلم : [وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا] أي : لتغير حالكم واضطراب مزاجكم لعدم استعدادكم وتحملكم لشيء مما أعلمه من علوم النبوة التي أفاضها الله تعالى علي ، وذلك بعد أن أعده الله تعالى وأمده لتلقي ذلك على وجه انفرد به صلى الله عليه وسلم دون العالمين.

[1] سنن الترمذي كتاب الزهد

وقد أُذن له صلى الله عليه وسلم أن يُحدِّث عن بعض المغيبات التي أطلعه الله تعالى عليها ، وهذا من باب علوم النبوة ، ومن ذلك ما كان يُخبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله : [أُذن لي] ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :[أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ][1] .

وفي رواية للطبراني عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعمِائَةِ سَنَةٍ، يَقُولُ الْمَلَكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ] [2].

وأما علوم الشريعة وهي الرسالة التي بعثه الله تعالى لتبليغها للناس - وهي ما يتعلق بأحكام الحلال والحرام والمواعظ والتذكير - فقد بلَّغها صلى الله عليه وسلم على أكمل الوجوه، ونصح الأمّة ودلها على كل خير ، وحذرها من كل شر إلى يوم القيامة ، وهذا بمقتضى قوله تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } أي : من القرآن الكريم ومما أمرك الله تعالى بتبليغه من أحكام الشريعة {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين }.

ونسأل الله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] سنن أبي داود كتاب السنة

[2] انظر المعجم الأوسط

المحاضرة العاشرة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن [1]

ثم أورد بسنده إلى أسيد [2] بن حضير رضي الله عنه قال :

بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوطة عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكتَ فسكتتْ ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريباً منها ، فأشفق أن تصيبه ، فلما اجترَّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدَّث النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :

[اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير]

قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى ، وكان منها قريباً ، فرفعت رأسي فانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظّلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها .

قال : [وتدري ما ذاك ؟] .
قال : لا .

قال : [تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأتَ لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم] . اهـ

---

[1] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن .
[2] على وزن زُبير

لقد ورد في بعض روايات الحديث أن أسيد بن حضير رضي الله عنه كان يقرأ سورة البقرة في صلاته في قيام الليل ، وكان يقرؤها جهراً ، على عادة الصحابة الكرام رضي الله عنهم والسلف الصالح كذلك ، إذ كانوا يقرؤون جهراً في صلاة الليل - إلا لمانع شرعي فيقرؤون عندئذ سراً - ولقد كانت بيوت الصحابة رضي الله عنهم تدوي بالليل كدوي النحل من قراءتهم ، وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف أحياناً في الليل على بيوت الصحابة الكرام رضي الله عنهم ليسمع قراءتهم ويهديهم ويرشدهم لما فيه الأحسن والأكمل ، كما قال لأبي بكر رضي الله عنه : ارفع قليلاً ، ولعمر رضي الله عنه : اخفض قليلاً [1] ، وهكذا ...
وإن من شأن المؤمن أن يكون شُغله وديدنه تلاوة القرآن الكريم في الليل والنهار والصباح والمساء ، كما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم .

قوله: [فجالت الفرس] أي اضطربت وتحركت .

قوله صلى الله عليه وسلم: [اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير] أي : لو أنك بقيت تقرأ ولم تتوقف لاستمرت الملائكة في تنزلها ولرأى ذلك جميع الناس .

ولقد رأى أسيد بن حضير رضي الله عنه تنزُّل الملائكة بصورة سحابة مضيئة تنبعث منها الأنوار أمثال المصابيح ، وكلما قرأ دنت ، وكلما وقف تراجعت إلى السماء وهكذا ...

وفي رواية عند مسلم :[تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ][2].

---

[1] فقد روى الترمذي في سننه في كتاب الصلاة ، ، عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه :
[مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ وَأَنْتَ تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِكَ ، فَقَالَ: إِنِّي أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ، قَالَ: ارْفَعْ قَلِيلًا، وَقَالَ لِعُمَرَ: مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ وَأَنْتَ تَرْفَعُ صَوْتَكَ، قَالَ: إِنِّي أُوقِظُ الْوَسْنَانَ ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ ، قَالَ: اخْفِضْ قَلِيلًا] .
[2] صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها

وفي رواية عند الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال له : [تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت [١] لرأيت العجائب] [٢].

قوله صلى الله عليه وسلم : [تلك الملائكة دنت لصوتك] أي لأجل أن تسمع صوتك الحسن بالقراءة .

ولقد كان أسيد بن حضير رضي الله عنه حسن الصوت في تلاوته للقرآن الكريم ، شأنه في ذلك شأن كل الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يحسنون أصواتهم في تلاوة القرآن الكريم عملاً بهدي النبي صلى الله عليه وسلم لهم ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ليس مِنّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن] [٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه لمّا سمع قراءته : [يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ] [٤] .

وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن زيد في وصف بلال رضي الله عنه لما أمر بتعليمه الأذان : [فإنه أندى وأمدّ صوتاً منك] [٥].

وينبغي على كل مؤمن أن يحسن كل عمل يباشره ، وتحسين كل شيء على حسبه ، وأما التنفير والغلظة فليسا من الدين في شيء .

---

[١] أي : بقيت على قراءتك .
[٢] المستدرك كتاب فضائل القرآن .
[٣] صحيح البخاري كتاب التوحيد
[٤] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن
[٥] هذا كما جاء في حديث بدء الأذان ، وقد رواه الترمذي في سننه في كتاب الصلاة عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : [لمَّا أصبحنا أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بالرؤيا ، فقال : إن هذه لرؤيا حق ، فقم مع بلال فإنه أندى وأمد صوتاً منك ، فألْقِ عليه ما قيل لك ، ولينادِ بذلك ، قال : فلما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه نداء بلال رضي الله عنه بالصلاة ، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر إزاره وهو يقول : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذي قال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلله الحمد ، فذلك أَثْبتُ].

وقد أشار البخاري رضي الله عنه إلى رواية: [تلك السكينة تنزَّلت بالقرآن][1] ولا ينافي هذا رواية : [تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن] فإن الملائكة لما تتنزل تنزل معها السكينة .

والسكينة هي أمر روحاني نوراني رباني ينزل على القلب بصحبة الملائكة فيسكن لها القلب أي يطمئن ، وينشرح بها الصدر .

ولقد وعد الله تعالى المؤمنين بإنزال السكينة عليهم في حالة الفزع والحرب ، وذلك حتى تطمئن قلوبهم وترتاح نفوسهم .

ولما بشر الله تعالى رسوله الكريم سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بما فتح له وأعطاه بقوله جل وعلا : { إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً * وينصرك الله نصراً عزيزاً } بشَّر المؤمنين أيضاً بإنزال السكينة على قلوبهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم فقال عز من قائل: { هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً } .

ومن جملة أسباب نزول السكينة على القلب تلاوة القرآن الكريم ، والإكثار من ذكر الله تعالى ، والصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن الجهر بتلاوة القرآن الكريم في الليل سبب لنزول السكينة ، وإن كان الإسرار بقراءته يستنزل السكينة أيضاً ، إلا أن الجهر به أفضل لأنه أظهر في تحسين الصوت ، إلا لمانع شرعي كمراعاة مريض أو طفل نائم وما أشبه ذلك .

---

[1] فقد روى في صحيحه في كتاب فضائل القرآن عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ:[كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو ، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالْقُرْآنِ].

وإن توالي نزول السكينة على قلب المؤمن الذي يسعى في استنزالها يجعل منه صاحب نفس مطمئنة، ومتى نال المؤمن ذلك صار في ضمان الله تعالى ، لقوله سبحانه { يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي } .

وإن للنفس ثلاث مراتب:

أولها: الأمّارة التي تأمر صاحبها بالسوء ، كما ذكر سبحانه عن ابن آدم لما قتل أخاه { فطوعت له نفسه قتل أخيه } ، وذكر سبحانه عن السامري قوله : { وكذلك سولت لي نفسي } ، وذكر سبحانه عن إخوة يوسف عليه السلام قول أبيهم سيدنا يعقوب عليه السلام لهم : { بل سولت لكم أنفسكم أمراً } .

فكما أن للشيطان أمراً بالسوء وتزييناً له، فكذلك للنفس الأمارة ، ولو لم يكن ذلك فمن هو الذي وسوس لإبليس وغرَّه وأمره بالامتناع عن السجود لآدم عليه السلام ؟ !

نعم إن نفسه هي التي سولت له ذلك، إذ لا شيطان قبله يزيِّن له ويوسوس له.

وإن الآية { إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم } ذكرها سبحانه مخبراً عن زليخا امرأة العزيز ، وهذا ما دلت عليه سياق الآيات ، وإلا فإن سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام صاحب نفس طاهرة زكية ، حفظه الله تعالى وعصمه عن نية الفاحشة والهمِّ بها، وهذا قوله تعالى مخبراً عن زليخا قولها : { ولقد راودته عن نفسه فاستعصم } أي حاولت معه مرة بعد مرة لفعل الفاحشة فلم يكن منه إلا الامتناع ؛ ولمّا لم يمتثل عليه السلام لأمر زليخا همت به ضرباً ليذعن لأمرها ، فهم بها ضرباً ليبعدها عن نفسه ، وهذا قوله تعالى : { ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه } أي لولا وجود نور النبوة فيه لكان منه ما كان { كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء } وهي نية الفاحشة أو الهمّ بها ، والفحشاء هي الزنا ، فحفظه الله تعالى وعصمه من ارتكاب الصغائر والكبائر ، فافهم.

وأما النفس اللوامة فقد يقع صاحبها أحياناً في المعصية ولكن نفسه تلومه على ذلك فيتوب، وكلما عاد إلى الذنب لامَته نفسه وعاد إلى التوبة حتى إذا استقر على شرع الله تعالى وسكنت نفسه على ما يرضي الله تعالى صار صاحب نفس مطمئنة .

ولهذه النفس مراتب ومقامات كثيرة ، لأن منازل السير والسلوك إلى ملك الملوك جل وعلا منتهية ، أما مراتب القرب من الله تعالى فلا انتهاء لها ، وهذا معنى قولهم: [السير إلى الله له حدٌّ ، أما السير في الله فلا نهاية له].

وكلما ازداد المتقرب من الله تعالى قرباً زادت معرفته بعظمة الله تعالى ، وزادت خشيته من الله تعالى ، وزاد اعترافه بالتقصير عن أدائه حقَّ الله تعالى ، بمقتضى قوله جل وعلا : { وما قدروا الله حق قدره } .

ألا ترى إلى إمام الصديقين أبي بكر رضي الله عنه لما سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يعلّمه دعاء يدعو به في صلاته فقال له ﷺ :
[قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً [1]، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم] [2] ، كل ذلك مع أن الصِّدِّيق رضي الله عنه لم يشرب الخمر ولم يَزْنِ زمن الجاهلية ، فما بالك عن طاعاته وعباداته في الإسلام ؟!

نعم إن ذنوبه تَفهم معناها إذا فهمت أن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وإذا نزلت السكينة في قلب المؤمن عند قراءته للقرآن الكريم زادته إيماناً فيسكن القلب وينشرح الصدر وترتاح النفس لأن مِن أثر السكينة على النفس أنها تبعث فيها رَوحاً [3] ، كقوله تعالى : { فأما إن كان من المقربين* فروح وريحان وجنة نعيم } .

---

[1] وفي رواية عند مسلم: [ظلماً كبيراً] كما في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار

[2] صحيح البخاري كتاب الدعوات

[3] بفتح الراء وسكون الواو وفتح الحاء

والرَّوح : ما يكون به ارتياح الإنسان وسروره وانتعاشه ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ] [1] أي : تأتيكم برَوح من عند الله تعالى تبعث فيكم النشاط والحركة والارتياح .

وإن قوله صلى الله عليه وسلم لأسيد رضي الله عنه:[أما إنك لو مضيتَ] أي : بقيت على قراءتك [لرأيت العجائب] دليل على إطلاع الله تعالى عباده الصالحين على بعض العوالم الغيبية والانكشافات العلوية ، فلا تنكر على أهل الله تعالى ذلك .

ومما جاء في فضل سورة البقرة ما رواه الإمام مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [اقْرَؤوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَؤوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ] [2].

وقوله صلى الله عليه وسلم : [وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ] أي: لا يستطيع قراءتها مَن كانت نفسه كسولة خمولة ، وذلك لطولها ، ولا يستطيع تطبيق أحكامها لكثرتها ، إذا فيها ألف أمر وألف نهي كما قال بعضهم [3] .

وقد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكسل وأرشد أمّته إلى ذلك ، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

[كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ] [4].

---

[1] المسند ٢٠٢١٥

[2] صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها

[3] انظر كتاب : (الإتقان في علوم القرآن) ٤/ ١٤٢

[4] صحيح البخاري كتاب الدعوات

والكسل في أمور الدين من صفات المنافقين ، قال الله تعالى : { وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى } ، وقال سبحانه : { ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى } وهذا لأنهم صرفوا نشاطهم وقوّتهم في تحصيل أموال الدنيا وزينتها ، حتى إذا أتوا للقيام بحق الله تعالى عليهم غلب الكسل والخمول عليهم ، ونسأل الله العافية .

أو أن المراد بالبطلة السحرة لأنهم على أمر باطل ، فمن واظب على تلاوة سورة البقرة حفظه الله تعالى وأولاده من السحر والنفوس الخبيثة الشيطانية ، وما أحوج المؤمنين في زمننا إلى ذلك .

وإن كلمات الله تعالى نافذة لا يستطيع أن يجاوزها - أي يقتحم حجابها - بَرٌّ ولا فاجِر ، فمَن تحصّن بكلمات الله تعالى وأسمائه سبحانه حفظه الله وعصمه من الشرور والمكاره .

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً ، والحمد لله رب العالمين .

المحاضرة الحادية عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه، قال :

باب فضل القرآن على سائر الكلام

ثم أورد بسنده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

[مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا].[1] اهـ

وقد أشار الإمام البخاري رضي الله عنه في ترجمته لهذا الحديث أشار إلى حديث آخر ، قد يكون ذكره في باب آخر من أبواب صحيحه ، أو أنه صح عند غيره من المحدثين ، لكنه لم يذكره في صحيحه لأنه لم يأت على شرطه[2] .

---

[1] صحيح البخاري كتب فضائل القرآن

[2] قال الحافظ في الفتح : قَوْله : (بَاب فَضْل الْقُرْآن عَلَى سَائِر الْكَلَام) (هَذِهِ التَّرْجَمَة لَفْظ حَدِيث أَخْرَجَ التِّرْمِذِيّ مَعْنَاهُ مِنْ حَدِيث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [يَقُول الرَّبّ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآن عَنْ ذِكْرِي وَعَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْته أَفْضَل مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَفَضْل كَلَام اللَّه عَلَى سَائِر الْكَلَام كَفَضْلِ اللَّه عَلَى خَلْقه] وَرِجَاله ثِقَات إِلَّا عَطِيَّة الْعَوْفِيّ فَفِيهِ ضَعْف) .

ثم قال : (وَأَخْرَجَهُ اِبْن الضَّرِيس أَيْضًا مِنْ طَرِيق الْجَرَّاح بْن الضَّحَّاك عَنْ عَلْقَمَة بْن مَرْثَد عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن السُّلَمِيّ عَنْ عُثْمَان رَفَعَهُ :[خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآن وَعَلَّمَهُ] - وَحَدِيث عُثْمَان هَذَا سَيَأْتِي بَعْد أَبْوَاب بِدُونِ هَذِهِ الزِّيَادَة). اهـ ١٤ \ ٢٣٤

فقد روى الترمذي وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ][1] .

وفي رواية : [فَضْلُ الْقُرْآن عَلَى سَائِر الْكَلَام كَفَضْلِ اللَّه عَلَى خَلْقه] [2].

وفي رواية : [من شغله ذِكري عن مسألتي][3] والمراد من الذِّكر هنا : القرآن الكريم ، لقوله تعالى : { إنا نحن نزلنا الذِّكر وإنا له لحافظون } وقوله جل وعلا : { ص والقرآن ذي الذِّكر } .

ويقال عن القرآن الكريم إنه ذِكر لأن فيه ذِكر الله أي ذِكر الله جل جلاله لنفسه بالأسماء والصفات والكمالات والتسبيح والحمد والتكبير وهكذا ..

كما أن في القرآن الكريم ذكر كل شيء مما يتعلق بالمخلوقات والسوابق واللواحق.

واعلم أنه لا بُد للمحدِّث - الذي يحدّث الناس أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا بد له عند تحديثه أن يصل سنده إلى مصنف كتاب الحديث الذي يريد التحديث منه ، كالبخاري مثلاً أو غيره ، ثم يذكر سند البخاري إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يحتاج إلى إجازة للمحدِّث يجيزه بها من أُجيز بذلك عن شيوخه ، وكلٌ منهم قد أجيز عمن قبله وهكذا .

---

[1] سنن الترمذي والدارمي كلاهما في كتاب فضائل القرآن والبيهقي في الأسماء والصفات

[2] أخْرَجَها اِبْن عَدِيّ مِنْ رِوَايَة شَهْر بْن حَوْشَبٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه مَرْفُوعًا ، انظر فتح الباري ١٤ \ ٢٣٤

[3] جاءت هذه الرواية في مصنف ابن أبي شيبة ، والزهد للإمام أحمد بن حنبل والبخاري في خلق أفعال العباد وشعب الإيمان للبيهقي وغيرها .

وإن اتصال السند بين المحدِّث إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لدليل على قوة المحدّث في علمه واطِّلاعه على أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولولا ذلك لما أجازه شيوخه بذلك .

كما أن مجلس الحديث الذي يصل فيه المحدث سنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لَهُوَ مجلس يتميز بنورانية وروحانية ونفحات خاصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يجدها الإنسان في غيره من المجالس ، ولا يعرف سر وحكمة وقيمة اتصال السند والإجازة بالتحديث إلا أهل الفضل والعلم .

قوله تعالى في الحديث القدسي : [مَن شغله القرآن] أي : قراءة القرآن [وذِكري عن مسألتي] أي: عن دعاء الله وسؤاله [أعطيته أفضل ما أعطي السائلين] .

فمن شغل نفسه بتلاوة كلام رب العالمين جل جلاله ، وله حاجات يريد قضاءها عند من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين ، حقَّق الله تعالى رجاءه، وأعطاه سؤاله على وجه أفضل ما يعطي به السائلين .

وينبغي على كل مؤمن أن يتخذ لنفسه ورداً يرد إليه كل يوم وليلة ، بمعنى أن يكون له حصة من الوقت كل يوم وليلة يخصِّصها لتلاوة شيء من القرآن الكريم والأذكار الواردة عن سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ، والتي أمر بها القرآن الكريم كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء ، ويكون هذا الورد بالنسبة لقلبه وروحه بمثابة الماء للعطشان الذي يَرِد عليه ليرتوي ويأخذ حاجته منه ، فإن تلاوة القرآن الكريم وذِكر الله تعالى يزيدان الإيمان في القلب ، ويدفعان عنه الوساوس والشبهات ، ويبعثان الطمأنينة في قلب الذاكر ، كما يبعث الماء النشاط والحيوية في عروق وبدن الشارب منه ، وهذا معنى قولهم : [من لا وِرد له لا وارد له] [1] .

---

[1] ويقال لمن ورد الماء للشرب : وارد ، ولمن ارتوى وأخذ من الماء : صادر ، كما قال تعالى : (ولما ورد ماء مدين) الآية ، وقوله سبحانه (حتى يصدر الرعاء) الآية.

ولقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيِّن على نفسه ورداً من القرآن الكريم كل يوم ، كما دلت عليه الأحاديث التي ذكرنا شيئاً منها في كتابنا (تلاوة القرآن المجيد) .

ولما وفد إليه صلى الله عليه وسلم بعض الضيوف أخَّر استقبالهم لأنه كان مشغولاً في تلاوة وِرده من القرآن الكريم ، فقد روى أبو داود عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيفٍ ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا كل ليلة بعد العشاء يحدثنا .

قال : فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : يا رسول الله لقد أبطأت عنا الليلة ؟

قال : [إنه طرأ علي حزبٌ من القرآن ، فكرهت أن أجيء حتى أُتِمَّهُ] .

قال أوس رضي الله عنه : فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزِّبون القرآن ؟

فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده[1] .

وفي مسند الإمام أحمد أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

[مَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْ وِرْدِهِ - أَوْ قَالَ : مِنْ جُزْئِهِ مِنْ اللَّيْلِ - فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِلَى الظُّهْرِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ لَيْلَتِهِ][2]

والإيمان في القلب كالشجرة التي من أراد لها أن تؤتي ثمارها فلا بد له أن يتعهدها بالسقيا وإزالة الأعشاب الضارة عنها ، وأن يجنبها الرياح الشديدة والأعاصير المدمِّرة .

ولا تُسقى شجرة الإيمان في القلب إلا بتلاوة القرآن الكريم وذِكر الله تعالى، الذي هو مما أمر به القرآن الكريم وأمر به سيد الأنام صلى الله عليه وسلم .

---

[1] سنن أبي داود كتاب الصلاة

[2] المسند ٢١٥

ولا بد للورد من مواظبة لإمداد شجرة الإيمان في القلب ، كما لا يستغني الإنسان عن طعامه وشرابه ، ولا تغنيه أكلة وشربة الأمس عن اليوم .

وقد قال سبحانه : { ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون } ، والكلمة الطيبة هي : [لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم] والتي هي أصل وأساس الإيمان .

وأما ما يؤذي شجرة الإيمان في القلب فهي الشبهات والضلالات التي إذا أحاطت بالقلب ربما قضت على الإيمان الذي فيه ، كما تقضي الأعشاب الضارة والأشواك على الشجرة إذا كثُرت من حولها وأحاطت بها .

وكما أن الهواء الشديد والأعاصير يضُرّان الأشجار ، فإن هوى الإنسان يهوي به ، ويفسد عليه إيمانه ، إن هو اتبع هواه وأرسل نفسه في شهواتها.

ولا بد للإنسان - حتى يسلم عليه إيمانه ويقوى ويزداد - لا بد له من أن يجعل هوى نفسه تابعاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تطهُر نفسه ويطيب قلبه ، كما قال صلى الله عليه وسلم : [لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه] أي ميلُ نفسه وما تشتهيه نفسه [تبعاً لما جئت به] [1] .

فلا يهوى إلا ما هَوِيَه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يستحسن إلا ما حسَّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يكره إلا ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى في الحديث القدسي : [مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ] .

---

[1] قال الإمام النووي رضي الله عنه : حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

أي فمن شغله ورده اليومي من تلاوة القرآن عن سؤالي حاجاته أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وذلك لأنه شغل نفسه بتلاوة كلام الله تعالى ، كما في رواية : [مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ثَوَابِ السَّائِلِينَ][1] .

قوله صلى الله عليه وسلم : [وفضل كلام الله على سائر الكلام] أي كلام المخلوقات [كفضل الله على خلقه] أي ولا نسبة في ذلك ولا مقارنة ولا مشابهة ، إذ لا يساوي فضل كلام الله تعالى أي فضل ، بل له الفضل المطلق كله ، لأنه كلام الله تعالى على الحقيقة ، وكلامه صفته ، وصفاته جل وعلا غير مخلوقة فكلامه سبحانه غير مخلوق ، وأنى لصفة المخلوق أن تشابه أو تماثل صفة الخالق جل وعز ؟!

بل إن أصل التوحيد والإيمان تمييز القديم عن الحادث ، وكل ما سوى الله فهو مخلوق حادث بذاته وصفاته ، أما هو سبحانه فهو وحده القديم الذي لا أول له ، والباقي الذي لا آخر له .

وقد تكلم الله تعالى بالقرآن الكريم ، وأسمعه جبريل عليه السلام فتلقاه عنه ، ونزل به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال جل وعلا : {وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم } ، فلم يتلق جبريل عليه السلام القرآن عن اللوح المحفوظ ، بل تلقاه عن حضرة الله تعالى ، ونزل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان القرآن الكريم مسطوراً في اللوح المحفوظ ، كما سطرت فيه أحكام الله القضائية ، وذلك حتى تلوح أي تظهر للملائكة المكلفين بتنفيذها في الأكوان ، وحتى تأخذ الملائكة ما أُمرت به من القرآن الكريم لتتعبد به وتتقرب بتلاوته إلى الله تعالى ،

يدلك على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : [الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ] أي في تلاوته [مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ][2] .

---

[1] سنن الدارمي كتاب فضائل القرآن

[2] صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها واللفظ له والمسند ٢٥٠٩٣ عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها

وقال تعالى : { كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة } فقد كُتبت في صحف الملائكة أجزاء من القرآن ليتعبدوا ربهم سبحانه بتلاوتها وهكذا ...

كما أن القرآن الكريم مسطور في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو على ترتيب المصحف الذي أمر بترتيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس على ترتيب النزول ، وهذا من حكم تسطير القرآن في اللوح المحفوظ حتى يرتِّبه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو عليه في اللوح المحفوظ.

وكما أن الملائكة عليهم السلام تتعبد ربها جل وعلا وتتقرب إليه بتلاوة القرآن الكريم ، فكذلك أيضاً تتعبد ربها سبحانه بالاستماع لمن يتلو القرآن ، فتحضُر الملائكة مجالس تلاوة القرآن وذِكر الله تعالى كما دلت عليه الأحاديث الشريفة .

ولعظيم فضل كلام الله تعالى كان لقارئه الأجر العظيم ، وله بكل حرف حسنة ، والحسنة تضاعف إلى عشر أمثالها ، وهذه المضاعفة للقارئ سواء كانت تلاوته بفهم أم بغير فهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم قال : [مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ : { الم } حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ]. [1]

ولا يفهم معنى قوله تعالى: { الم } إلا أهل العلم ، ومع ذلك ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثالاً لمضاعفة الحسنات .

أما قراءة القرآن بفهم وتدبُّر فتكون مضاعفة الحسنات عند ذلك أكبر وأكثر على حسب الفهم والتدبر والخشوع لله تعالى .

ولما رأى الإمام أحمد رضي الله عنه رب العزة في منامه سأله :
يا رب ما أفضل ما يتقرب المتقربون به إليك - أي من الكلام - ؟

قال جل وعلا : بكلامي يا أحمد.

قال : ربِّ بفهم أم بغير فهم ؟

---

[1] سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قال سبحانه : بفهم وبغير فهم[1] .

وفي الحديث : [وَمَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ ، يَعْنِي الْقُرْآنَ] [2].

وهذه الرؤيا المنامية لله تعالى قد تحصل لبعض الأولياء رضي الله عنهم ، أما رؤية الله تعالى في يقظة الدنيا فما كانت ولن تكون لأحد إلا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رأى ربه جل وعلا ليلة الإسراء والمعراج ، وأما بقية المؤمنين فيكون أول لقاء لهم لله تعالى بعد الموت ، إذا لم تكن هناك حُجُب وموانع تحول بين ذلك ، وهي الذنوب والمعاصي.

وقد قال صلى الله عليه وسلم :

[تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ] [3] .

والمؤمن يرى ربه بعد موته وهو عنه راض ، وهذا اللقاء هو أسعد وأهنأ اللقاءات ، ونسأل الله تعالى أن يجعل أسعد أيامنا يوم نلقاه وهو راض عنا بجاه حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم . آمين

ومَن هجر تلاوة القرآن الكريم فقد عرّض نفسه للوعيد الذي أخبر سبحانه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيقول يوم القيامة : { وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } ، وقد ذكر سبحانه ذلك بصيغة الماضي لتحقق وقوعه ، وكأن الأمر قد وقع ، وها هو أمامك فما هو موقفك أيها الإنسان من ذلك ؟؟

وهَجرُ القرآن على أنواع :

فمِن الناس مَن هجر الإيمان به وهم الكافرون .

---

[1] انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٤ والطبقات الكبرى للإمام الشعراني ٣٨٣ وتفسير حقي ٣ / ٤٨٨

[2] مسند الإمام أحمد ٢١٢٧٤ وسنن الترمذي كتاب فضائل القرآن عن أبي أمامة رضي الله عنه

[3] طرف حديث في سنن الترمذي كتاب الفتن

ومنهم من هجر العمل به وهم الفاسقون وأمرهم على خطر .

ومنهم من هجر تلاوته فهو بذلك قد هجر العمل ببعض أوامر القرآن الكريم ، لأن القرآن الكريم يأمر بتلاوته .

وبيْن الإيمان والقرآن صِلة ومُلازمة ، فلا بد لكل مؤمن ليثبت عليه إيمانه ويزداد لا بد له من أن يكون مع القرآن على صلة دائمة ، وقد روى البخاري وغيره عن حذيفة رضي الله عنه قال :

حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ ، حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ - أي الإيمان - نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ - أي في أصول القلوب - ثُمَّ عَلِمُوا مِن الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِن السُّنَّةِ ، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا ، قَالَ:

[يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَان رَجُلًا أَمِينًا ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا][1] .

وينبغي على المؤمن أن يعظِّم المصحف ويكرمه ، لأنه كلام رب العالمين ورسالته إلى خلقه .

وقد قال تعالى : { ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب } أي : تعظيم شعائر الله تعالى دليل على تقوى القلب ، وشعائر الله تعالى هي معالم دينه وشريعته ، ولا أعظم من المصحف إذ إنه أصل الدين والشريعة .

[1] صحيح البخاري كتاب الرقاق واللفظ له وصحيح مسلم كتاب الإيمان

وقد أخبر سبحانه عن علو مكانة القرآن عنده ورفعة مقامه فقال تعالى : { وإنه } أي القرآن { في أم الكتاب } أي فوق العرش { لدينا } أي عندنا {لعلي حكيم } أي له العلو والرفعة .

وإذا أرسل لك من يعزُّ عليك رسالة وبلَغه أنك أكرمتها وعظَّمتها ، لعلوت في نظره ولنلت كرامته ، ولو بلغه أنك استهنت برسالته لسقطت من عينه ولحُرمت فضله وكرامته ، فعلى قدر تعظيمك لكتاب الله تعالى تكون عظمتك عند الله تعالى – ولله المثل الأعلى - .

وقد روى ابن أبي داود في كتاب: [المصاحف] عن إبراهيم التيمي قال: كان - أي: في عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم - يقال: عظِّموا المصاحف.اهـ

ومن جملة تعظيمه : القيام له لتناوله ، وتقبيله ، ورفعه في مكان عال محترم في البيت .

وإن الذي جمع شعائر الله كلها هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي انطوت فيه معالم الدين كلها ، فوجب تعظيمه صلى الله عليه وسلم على كل مؤمن واحترامه وتوقيره صلى الله عليه وسلم .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعظِّمون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ من تعظيم رعيَّة الملكِ الملكَ ، وقد قال عروة بن مسعود رضي الله عنه الثقفي لقريش لما رجع إليهم من عند النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (أي قوم : والله لقد وفدْت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إِنْ رأيتُ) أي ما رأيت (ملكاً قَطُّ يعظّمه أصحابه ما) أي مثل ما (يعظّم أصحاب محمد) صلى الله عليه وسلم (محمداً) صلى الله عليه وسلم ، كما جاء هذا في حديث صلح الحديبية الذي رواه البخاري وغيره [1].

ونسأل الله تعالى أن يرزقنا الأدب مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يرزقنا شفاعته ومرافقته في جميع العوالم .

---

[1] صحيح البخاري كتاب الشروط ومسند الإمام أحمد ١٨١٦٦

وإذا كان مقياس وميزان الإيمان حُب الأنصار ، الذين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الإيمان كله هو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه والأدب معه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

[آيَةُ الْإِيمَانِ] أي علامة الإيمان [حُبُّ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ][1] .

وكما يجب على المؤمن أن يسعى في زيادة إيمانه فيجب عليه أن يزداد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له حتى يزداد إيمانه. ونسأل الله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين.

[1] صحيح البخاري كتاب الإيمان عن أنس رضي الله عنه .

المحاضرة الثانية عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

أما بعد : بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحِّشاً

ثم أورد بسنده إلى أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

لَمْ يَكُن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّابًا وَلَا فَحَّاشًا وَلَا لَعَّانًا ، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتِبَةِ : [مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ][1]. اهـ

أي لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً بكلامه ، بل كان يقابل الناس بِلين الكلام ، ولم يكن متفحشاً بأفعاله صلى الله عليه وسلم ، بل كان صلى الله عليه وسلم ليِّن الجانب ، عظيم الخلق ، لا يقابل أحداً بما يكره ، كما بيَّنت ذلك أحاديث الصحابة رضي الله عنهم في وصف شمائله وخصاله صلى الله عليه وسلم[2] .

وكان صلى الله عليه وسلم يُداري ضُعفاء القلوب والإيمان حتى يجلبهم ويرغبهم في دين الإسلام، ولما استأذن عيينة بن حصن الفزاري - وكان حديث عهد بالإسلام ، ضعيف الإيمان - لما استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه ، قال صلى الله عليه وسلم : [بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة] فلما جلس تَطَلَّقَ النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه .

---

[1] صحيح البخاري كتاب الأدب

[2] انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٢١٦٧ والأدب المفرد للبخاري ١٥٦/٢

- وفي رواية : فلما دخل [1] ألان له الكلام[2] - فلما انطلق الرجل قالت له السيدة عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ، ثم تطلَّقتَ في وجهه وانبسطت إليه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [يا عائشة متى عهدتني فحاشاً ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره][3] .

وفي رواية [اتقاء فحشه] [4] .

وقد استدل العلماء من هذا الحديث على عدة أمور منها :

وجوب الاستئذان لمن أراد أن يدخل على غيره .

واستدل العلماء أيضا على أن ذِكر الفاسق المعلن لفسوقه أو الشرير المجاهر بشرِّه ، لا يُعتبر غيبة منهياً عنها ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الرجل المعروف بسوء خُلقه وغلظته وشرّه ، ذكره بالذم لما استأذن عليه بقوله : [بئس أخو العشيرة] .

ومنها : وجوب مداراة الفسقة وضعفاء الإيمان لاستجلابهم وتقوية الإيمان في قلوبهم ، وعدم تنفيرهم بسيِّئ الكلام ، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأحمق المُطاع ، لأنه إذا استجلبه وتمكن الإيمان في قلبه ، فإن قومه من وراءه سيتَّبعونه ويثبتون على دين الله تعالى .

---

[1] قال الحافظ في الفتح١٧ / ١٨٠ : قَالَ اِبْن بَطَّال: هُوَ عُيَيْنَة بْن حِصْن بْن حُذَيْفَة بْن بَدْر الْفَزَارِيُّ ، وَكَانَ يُقَال لَهُ: الْأَحْمَق الْمُطَاع ، وَرَجَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِقْبَالِهِ عَلَيْهِ تَأَلُّفه لِيُسْلِم قَوْمه لِأَنَّهُ كَانَ رَئِيسهمْ .اهـ
وكان من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه في عهد خلافة عمر رضي الله عنه .
وقال النووي في شرحه صحيح مسلم : وأما (بئس ابن العشيرة أو رجل العشيرة) فالمراد بالعشيرة : قبيلته ، أي: بئس هذا الرجل منها .

[2] صحيح البخاري كتاب الأدب

[3] المصدر السابق

[4] المصدر السابق

وقد قال العلماء رضي الله عنهم بمشروعية المداراة في دين الإسلام ، وأما المداهنة فهي حرام منهي عنها وتعدُّ من النفاق .

والمداراة هي بذل الدنيا لإصلاح الدين ، أو الدنيا ، أو كليهما معاً ، ويشمل هذا بذل المال أو القول اللين لأجل إصلاح أمر الآخر في دينه ودنياه أو أحدهما .

وأما المداهنة فهي بذل الدين في سبيل الدنيا ، وهذا حرام ، من المنهيات، كمن يتكلم مع غيره بكلام لا يرضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في سبيل الحصول على مال أو رتبة وهكذا ..

وقد بين هذا سبحانه بقوله : { ودوا لو تدهن فيدهنون } أي : ود المشركون لو تدهن معهم ، بأن توافقهم على بعض أمور الجاهلية والكفر ، فيدهنون لك ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ما فعل ذلك[1] .

والمداهنة مأخوذ من الدِّهان ، وكأن كلاً من الطرفين يدهن ما يلين صاحبه ويرضيه ، وهذا نفاق مذموم في شرع الله تعالى .

ولما أرسل الله تعالى موسى وهارون - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - لما أرسلهما إلى فرعون - وكان فرعون ظالماً طاغياً - أمرهما بلين الخطاب له والكلام معه ، فقال تعالى : { فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى } ، وهذا على سبيل المداراة ، لا المداهنة ، ولو أن موسى عليه السلام قابله بالغلظة والفظاظة لنفر وطغى ، ولَمَا استمع إلى بينات موسى عليه السلام وبراهينه ، وعندها لا يحصل المقصود من دعوته وهدايته إلى الله تعالى .

وقد بين سبحانه في القرآن الكريم كيف أَلانَ موسى عليه السلام الكلام لفرعون ، بأن كان كلامه معه على سبيل العرض لا الأمر ، فقال تعالى في بيان ذلك : { فقل هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى } .

---

[1] جاء في تفسير القرطبي ١٧ / ٢٢٨ : والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه شبه بالدهن في سهولة ظاهره.
وجاء في لسان العرب ١٣ / ١٦٠: قال أَبو الهيثم الإِدْهان المُقاربَة في الكلام ، والتَّليين في القول ، ومن ذلك قوله تعالى : { ودُّوا لو تدهن فيدهنون } أَي : ودُّوا لو تُصانِعهم في الدِّين فيُصانِعوك .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم عظيم الخُلُق ، لا يقابل أحداً بما يكره ، وإذا رأى من أحد إساءة أو تقصيراً فلا يلعنه ولا يسبُّه ، بل كان جُلّ عتابه أن يقول : [ما له ترِب جبينه] أي : ما الذي اعترى فلان حتى قصر أو أساء؟ ترب جبينه ، وهي كلمة جرت على لسان العرب ، ولكن لا يريدون معناها.

والأصل في معناها أن يصيب التراب جبينه ، يعني أن يُوضع جبينه على الأرض .

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: [تربت يداه][1] أي صارت يداه على التراب ، فهي كناية عن الفقر الشديد أو الغنى الكثير [2]، ولا يُراد من هذه الكلمات معانيها ، وإنما يؤتى بها على سبيل التنبيه والزجر ، كقوله صلى الله عليه وسلم :[ثكِلتكَ أمك][3] .

وأما إذا كان الأمر يتعلق بانتهاك حرمات الله تعالى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب ، كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ينتقم لنفسه ، إلا إذا انتهِكت حرمات الله تعالى ، فكان يغضب لله تعالى ، لا لنفسه [4].

وقد ذكر سبحانه في أول سورة { ن } - ثاني أو ثالث ما نزل من القرآن - على خلاف في أقوال العلماء - ذكر سبحانه في أول هذه السورة بيان سعة عقله الشريف صلى الله عليه وسلم وعِلمه ، وعظمة خُلقه صلى الله عليه وسلم ، فقال سبحانه : { ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجراً غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم}.

---

[1] طرف حديث في سنن أبي داود كتاب الطهارة ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١/ ٢٠٧ : أَيْ : اِفْتَقَرَتْ وَصَارَتْ عَلَى التُّرَاب ، وَهِيَ مِنْ الْأَلْفَاظ الَّتِي تُطْلَق عِنْد الزَّجْر وَلَا يُرَاد بِهَا ظَاهِرهَا .

[2] انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ١٤ / ٣٣٠

[3] طرف حديث في سنن الترمذي كتاب الإيمان

[4] روى الإمام مسلم في صحيحه عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : [وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]

قوله تعالى : { ن } وهو حرف من حروف الهجاء التي افتتح الله تعالى بعض سور القرآن ببعضها ، وقد كُتبت في القرآن بحقيقتها ، لكنها تلفظ باسمها، فتقرأ { كهيعص } مثلاً : كاف ، ها ، يا ، عين ، صاد ، مع أن كل حرف مكتوب بحقيقته ، وحقيقة الحرف هو أول حرف من اسمه ، فحقيقة كاف : (ك) وهكذا ...

وقد يطلق النون في لغة العرب على الحوت ، كما قال سبحانه : { وذا النون } - أي صاحب الحوت وهو سيدنا يونس عليه السلام -

{ إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } ، وقال سبحانه في آية ثانية : { فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم } .

وقد يطلق النون على الحرف المعروف من حروف الهجاء ، ويشار به إلى معانٍ عالية .

وقد يطلق النون على دواة المداد - التي يوضع فيها حبر الأقلام للكتابة بها - وهكذا فإن نون هي موضع المدد [1].

فلما قال سبحانه: { ن والقلم وما يسطرون } دل على أن المراد من { ن } : المدد ، وهو المدد الإلهي الفياض الذي أفاضه الله تعالى على القلم الأول لما قال سبحانه له : [اكتب .

فقال : ما أكتب ؟

قال : اكتب القدر ، ما كان وما هو كائن إلى الأبد] [2].

ولما أمد الله تعالى القلم بمدده كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة كما في الحديث المتقدم .

قوله تعالى : { وما يسطرون } أي وما تُسطره الأقلام التي تأخذ عن القلم الأول ، فلقد أقسم سبحانه بالمدد الإلهي ، وبالقلم الأول ، وبالأقلام التي تأخذ عن القلم الأول ، أقسم بذلك كله على كمال عقله الشريف صلى الله

---

[1] انظر الدر المنثور للحافظ السيوطي ١٠ / ٧١

[2] رواه الترمذي عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه .

عليه وسلم ، وسعة علومه ، وعظمة نعمة الله تعالى عليه بالنبوة والرسالة العامة ، فقال جل وعلا : { ما أنت بنعمة ربك بمجنون } أي : بل أنت صاحب العقل الأول والأرجح ، لأن في هذا النفي إثبات لكمال ما يقابله ، كقوله تعالى : { وما ربك بغافل عما تعملون }

أي : بل هو البصير العليم ، الخبير بكم وبأعمالكم ، على وجه مطلق لا يتناهى ، يليق بجلاله سبحانه .

وقوله تعالى : { ما أنت بنعمة ربك بمجنون } ومن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : النبوة والرسالة وإنزال القرآن الكريم عليه ، - الذي أتى على ذكر العلوم كلها - وإن هذه العلوم والمعارف العلوية والفيوضات الإلهية لا يتحملها إلا من أعده الله تعالى وأمده بالعقل الواسع الكبير .

قوله تعالى : { ما أنت بنعمة ربك بمجنون } أي فكيف يصح لدى عاقل أن يظن أن فيك يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شائبة الجنون -كما زعم المشركون المعاندون - وأنت الذي نزلت عليه النبوة والرسالة وتحمَّلت تلك العلوم التي لا يسعها إلا من كان أكمل خَلْق الله تعالى عقلاً، وأشدهم ذكاء وفطنة ونباهة ؟!

ونقول من باب المثال : لو اتهم إنسانٌ طبيباً عالمياً ماهراً معروفاً بعلومه ونفعه للناس ، اتهمه بالجنون ، لكان هذا الإنسان هو المجنون ، فما بال هؤلاء المشركين المعارضين الذين عجزوا عن الإتيان بمثل هذا القرآن النازل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم راحوا ينسبون إليه الجنون ، مع أنَّه أكمل خَلْق الله تعالى عقلاً وعلماً ومعرفة !!

نعم ما قالوا ذلك إلا لضلالهم وعنادهم وعداوتهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي شهد الله تعالى له بأرجحيَّة عقله الشريف وسعة علمه صلى الله عليه وسلم ، والذي أمده الله تعالى به بالمدد الفياض اللامتناهي ، والذي أشار إليه جل وعلا بقوله : { ن } .

وعن عقله الشريف وعلمه الواسع صلى الله عليه وسلم تَستمِدُّ العقول ، كما استمدت الأقلام عن القلم الأول ، وما استمداده صلى الله عليه وسلم إلا عن حضرة رب العالمين جل وعلا .

قوله تعالى : { ما أنت بنعمة ربك بمجنون } أي على صبرك على ما يقولون فيك يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنك أنت صاحب العقل الأول، والعلم الأوسع ، ومع ذلك نسبوا إليك الجنون ،

وهذا أمر يُغضبك ويؤذيك ، ولكن أجْرك عند الله تعالى لا يعلمه إلا الله تعالى ، لتحملك أذاهم وصبرك عليهم .

قوله تعالى : { وإن لك لأجراً } أي إن لك بالخصوص لأجراً[1] عظيماً لائقاً بك، { غير ممنون }[2] أي غير مقطوع بل هو مستمر دائم .

قوله تعالى : { وإنك لعلى خلق عظيم } أي فهم يتكلَّمون فيك ويُؤذونك ، لكن خُلُقك العظيم يجعلك تعفو وتصفح ، وهو صلى الله عليه وسلم عظيم في أخلاقه كلها ، عظيم في كرمه ، عظيم في سماحته ، عظيم في شجاعته ، عظيم في حلمه ، عظيم في صبره ، عظيم في انتصاره للحق وهكذا .. فهو عظيم في كل جانب من جوانب الخُلُق صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى : {وإنك لعلى خلق عظيم } يعني أن الأخلاق العظيمة كلها قد تحقق بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاها وارتقاها ، فلا خُلُق أعظم أو أعلى من خُلُقه صلى الله عليه وسلم ، ولا مجال لخلُق مهما عظم أن يتعالى على خلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن كلام الله تعالى معجز في نصه ومعانيه وعلومه وإخباراته ، ومهما فهم العلماء وبحثوا في معاني كلام الله تعالى ، فإنهم لا يحيطون بمعاني كلام الله تعالى علماً ولا معرفة ، ولذلك لا يمكن لأحد الإحاطة بما اشتمل عليه

---

[1] التنوين هنا للتعظيم والتفخيم .

[2] منَّ الشيء : إذا قطعه ، انظر تفسير ابن كثير ٨/ ١٨٨ ولسان العرب ٤١٥/١٣

قوله تعالى : { ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجراً غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم } .

وإن فهم معاني القرآن الكريم يحتاج من الإنسان إلى طهارة قلب وصفاء نفس ، وأن يجعل عقله تابعاً لما جاء به القرآن الكريم ، لأن القرآن الكريم خاطب العقلاء وأولي الألباب ، وأما من تحكم في القرآن بعقله فهو أسير أهوائه وآرائه ، وقد قال سيدنا عثمان رضي الله عنه :
(لو طهُرت قلوبكم ما شبِعتم من كلام الله عز وجل)[1].

وإذا كان الجسم يطهر بالماء ، فإن طهارة القلوب لا تكون إلا بتقوى الله تعالى في السر والعلانية ، ومراقبته والخشية منه سبحانه .

وإن الناس في تأثرهم وتذكرهم بكلام الله تعالى على صنفين ، كما قال سبحانه : { إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب } أي قلب حي سليم من الأمراض والآفات { أو ألقى السمع وهو شهيد } أي فإن كان في قلبه مرض أو آفة ، فعليه أن يصغي إلى كلام الله تعالى ، ويُشهد قلبه ما تسمع أذناه فعندئذٍ يبرأ قلبه ويحيا بإذن الله تعالى فيتأثر ويتذكر .

وإذا فقد الشيءُ حقيقةَ ما خُلق له أو صُنع من أجله ، فيكون اسمه عندئذٍ اسماً مجازاً وعرفاً ، لا حقيقة ، كالسيارة إذا تعطلت عن السير ، فهي سيارة بالاسم فقط ، ولكنها في الحقيقة هيكل من حديد ، وهكذا قلب الإنسان إذا فقد نور الإيمان ، فهو قلب في شكله واسْمه ، وهذا قوله تعالى : { إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب } أي قلب حيٌ بنور الإيمان بالله تعالى ، وهو قلب على الحقيقة ، فشأن هذا القلب أن يتذكر ويخشع إن سمع صاحبه كلام الله تعالى .

وأما من لم يكن قلبه على تلك الدرجة من الحياة والنور الإيماني ، فعليه أن يُلقي سمعه لكلام الله تعالى ، ويحضر قلبه ما استطاع ، فيحيا قلبه ويستنير ويتذكر ويخشع ، وهذا معنى قوله تعالى : { أو ألقى السمع وهو شهيد } ، كل هذا يدل على أن القلوب تشفى وتحيا بكلام الله تعالى ، قال عز من قائل : { قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاءٌ } .

---

[1] انظر كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ٢٠٧/٢

ولما كانت قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم عامرةً بالإيمان والهدى والتقى والنور - وخاصةً آل بيته صلى الله عليه وسلم الكرام رضي الله عنهم ورضي عنا بهم - كانت مفاهيمهم وعلومهم لمعاني القرآن الكريم عظيمة كبيرة ، ولهذا قال سيدنا علي كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه : [لو تكلمت لكم على سورة الفاتحة لأوقرتُ سبعين بعيراً][1] .

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

[1] قال الشيخ الإمام في كتابه (حول تفسير سورة الفاتحة) : والمعنى: لو تكلم على ما فهَّمه الله تعالى من معاني سورة الفاتحة لملأ كتباً كثيرةً يحتاج حملها لسبعين جمَلاً .اهـ

المحاضرة الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب المِقَة من الله تعالى

ثم أورد بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ][1] .

باب الحب في الله تعالى

وأورد بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :[لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا][2].اهـ

المِقَة : هي المحبة ، يقال : وَمَقَه يَمِقَه ومقاً ومِقَةً : إذا أحبَّه[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم : [إِنَّ الْمِقَةَ مِن اللَّهِ] [4] أي : إن المحبة من الله تعالى ، فإذا أحب الله عبداً جعل محبته في قلوب عباده فأحبُّوه ، وإذا كره الله عبداً كرَّه فيه عباده .

---

[1] صحيح البخاري كتاب الأدب

[2] المصدر السابق

[3] قال في لسان العرب ٣٨٥/١٠ : ومِقَهُ يَمِقُه مِقةً ووَمْقاً : أَحبه

[4] طرف حديث في مسند الإمام أحمد ٢١٢٤٠

وقد أشار البخاري رضي الله عنه في ترجمته لهذا الحديث إلى رواية : [المِقَة من الله ، والصِّيت من السماء] [1]، ولم يذكرها في صحيحه لأنها لم تأت على شرطه في الجامع الصحيح ، وإن صحت عند غيره ، وقد يذكر روايات مثلها في كتابيه: [الأدب المفرد] و [التاريخ الكبير] .

والصِّيت مأخوذ من الصوت ، فيقال : صِيت وصوت ، كما يقال : ريح ورَوح .

والصِّيت : هو الشهرة والثناء الحسن ، وإذا أطلقت كلمة الصِّيت دلت على الثناء الحسن ، وقد تأتي مقيدة لتدل على معنى سيئ[2] .

ولا يملك أحد المقة والصِّيت إلا الله تعالى ، فهو يجعل محبة مَن أحب في قلوب عباده فيحبونه ، وينشر له الشهرة والثناء الحسن بين عباده .

قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : [نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ] هذا أمر إيجادي تكويني ، إذ يخلق الله تعالى محبة مَن أحبه في جبريل عليه السلام فيحبه جبريل عليه السلام ، وبنداء جبريل عليه السلام في أهل السماوات : [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ] يخلق الله تعالى محبته في أهل السماوات فيحبُّون مَن أحبَّه الله تعالى .

قوله صلى الله عليه وسلم [ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ] أي فتنزل محبة هذا الذي أحبه الله تنزل في قلوب المؤمنين مِن أهل الأرض فيحبونه.

وفي رواية للحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : [فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَنُ وُدًّا } [3]

---

[1] أخرجها الإمام أحمد والطبراني وابن أبي شيبة عن أبي أمامة رضي الله عنه كما في الفتح ١٩٠/١٧

[2] انظر فتح الباري ١٩٠/١٧

[3] طرف حديث في سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن

أي حبّاً ثابتاً عند أهل السماوات والأرض بعد أن جعل لهم سبحانه من لدنه وُدّاً فأحبهم وجعل محبتهم عند أهل العرش والفرش [1] .

وفي رواية مسلم : [وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ] لأن أمر الله تعالى له أمر إيجادي لا يتخلف [ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ][2].

وفي المعجم الأوسط للطبراني واللفظ له وأصله في مسند الإمام أحمد [3] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [إِنَّ الْعَبْدَ يَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّ عَبْدِي فُلانًا يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِيَنِي] أي يعمل صالحاً ويدعوني ويسألني أن أرضى عنه [فَرِضَائِي عَلَيْهِ] أي فيعلن سبحانه في الملأ الأعلى رضاه على فلان الذي التمس رضاه بالقول والعمل.

[قَالَ: فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى فُلانٍ] أي رحمة الرضا، لأن الرضوان يستلزم الرحمات [وَتَقُولُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَقُولَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَهِيَ الآيَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}.

[وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ سَخَطَ اللَّهِ] أي يستمر بعمله الذي يغضب الله تعالى [فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّ فُلانًا يُسْخِطُنِي، أَلا وَإِنَّ غَضَبِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: غَضِبَ اللَّهُ عَلَى فُلانٍ، وَيَقُولُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُ مَنْ دُونَهُمْ، حَتَّى يَقُولَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ].
وفي هذا دليل على أن للأعمال الصالحة التي يعملها المؤمن آثاراً صالحة عند أهل السماوات والأرض ، وآثاراً صالحة في عالم الدنيا وعالم الآخرة .

---

[1] والفرش: الأرض ، وقد قال سبحانه : { الذي جعل لكم الأرض فراشاً } يفترشها أهل الأرض في حياتهم وحركاتهم وجلوسهم ونومهم .
[2] طرف حديث في صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب
[3] ٢١٣٦٧

وكذلك الأعمال السيئة فلها آثار سيئة في الدنيا والآخرة ، وعند أهل السماء والأرض .

وقد نبَّه سبحانه إلى آثار الأعمال الصالحة وآثار الأعمال السيئة ، فقال سبحانه في المنافقين والكافرين : { أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } .

وكلام الله تعالى يطالبك أن تتفكر فيه وتتدبر فيه حرفاً حرفاً ، وكلمة كلمة، وآية آية ، لأنه كلام رب العالمين المُحكَم المعجِز الذي لا حشو فيه ولا فضول .

فقوله تعالى : { حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } : أما في الآخرة فحبوط العمل بأن لا ثواب ولا اعتبار له ، وأما حبوط العمل في الدنيا فيعني أن للأعمال آثاراً في الدنيا وآثاراً في الآخرة ، إن كانت صالحة فآثارها صالحة ، وإن كانت فاسدة سيئة فآثارها سيئة ....

فمن عمل الصالحات ثم كفر أو ارتد أو نافق فقد حبط عمله الصالح في الدنيا وحبط أجره في الآخرة ، وأما إذا بقي مؤمناً يعمل الصالحات فله ثواب عمله في الدنيا وفي الآخرة ، وما هو أثر عمله الصالح في الدنيا ؟؟

نعم ينال حب الله تعالى وحب خلقه ، كما قال تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً } أي الآن في الدنيا قبل الآخرة ، وهذا بحقٍّ من لم يرتكب ذنباً كبيراً يوجب حُبوط عمله كالتلفظ بكلمةٍ كفراً ونفاقاً ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
[من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله][1]، ومن الذنوب التي تحبط بعض الأعمال الصالحة اقتناء الكلب ، لِما جاء في الحديث : [مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَيْسَ بِكَلْبِ مَاشِيَةٍ أَوْ ضَارِيَةٍ نَقَصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطَانِ[2]]
أي: مِن أحسن أعماله الصالحة ، والمنُّ والأذى يبطلان ثواب الصدقة لقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى }

---

[1] طرف حديث في صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة
[2] صحيح البخاري كتاب الذبائح والصيد

فيجب أن تفهم أن هناك ذنوباً يرتكبها العبد تحبط بعض أعماله الصالحة، أما الكفر والردة والنفاق فتحبط كل الأعمال الصالحة ، نسأل الله العافية .

فقوله سبحانه في المنافقين والكافرين : { حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة } يعني أن للمؤمنين ثواب أعمالهم في الدنيا والآخرة .

ومن جملة ثواب عمل المؤمن في الدنيا أن الله تعالى يجعل له محبة ثابتة عند أهل السماء وأهل الأرض ، ولهذه المحبة آثار وفوائد ترجع على هذا المؤمن المحبوب فيدعون له ويستغفرون ويسلّمون ..

ومن جملة ذلك أيضاً : أنه سبحانه يعلن رضاه عليه في الملأ الأعلى ، وينشر الثناء الحَسن عليه عند أهل السماء والأرض ، ويذكره سبحانه في الملأ الأعلى ويمدحه ويُثني عليه ، وقد قال تعالى : { فاذكروني أذكركم }

وفي الحديث القدسي : [أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم][1].

وكل ذلك الثواب يناله المؤمن الصالح في الدنيا قبل ثوابه في الآخرة .

ولما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم خيار خلق الله تعالى ، فقد نالوا ثناء الله عليهم في جميع الكتب الإلهية ، حتى ذكر ذلك في القرآن الكريم .

ومن ذلك قوله تعالى : { وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرٌ } أي هذا ذكر الله تعالى لأحبابه بأن يثني عليهم ويمدحهم { وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ }.

---

[1] صحيح البخاري كتاب التوحيد وصحيح مسلم كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار

كما أنه سبحانه ذكر الأولياء بالمدح والثناء الحسن فقال عز من قائل : { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون } .

ومن فسد عمله وساء فقد حبط عمله في الدنيا قبل الآخرة ، فلا ذِكر حسن له ، ولا محبة من الله له ، ولا رضا من الله عليه ، ولا محبة مِن خلق الله له ، بل العكس ، ويحبط عمله في الآخرة بالعذاب والعقاب ، نسأل الله العافية.

والوُد مرتبة في الحب تدل على ثبوته ورُسوخه وتمكنه في المحب ، لأن كلمة الود تطلق على الشيء الثابت الذي يُدَّق في الأرض ليثبت غيره من خَيمة ونحوها[1] .

وإن صفة المؤمن الكامل أن يكون حبه الأشد والأقوى هو حبه لله تعالى ولرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : { والذين آمنوا أشد حباً لله } أي إن غاية حبهم الشديد هي لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم الذي بيّن ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : [ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ][2].

وإن حُب الله تعالى وحُب رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أمران متلازمان لا يفترقان ، فمن أحب الله تعالى أحب حبيبه الأعظم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أحب الله تعالى لأنه صلى الله عليه وسلم رسول الله تعالى وحبيبه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ][3].

---

[1] جاء في تفسير البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ٨ / ٥٦ : قرأ الجمهور { وداً } بضم الواو ، وقرأ أبو الحارث الحنفي بفتحها .اهـ
وجاء في لسان العرب ٣ / ٤٥٣ : والوَدُّ الوَتدُ بلغة تميم .اهـ

[2] صحيح البخاري كتاب الإيمان

[3] المصدر السابق

وروى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج ﷺ سريعاً فثوّب بالصلاة ، فصلَّى وتجوّز - أي أسرع - في صلاته فلما سلم ﷺ قال : ((كما أنتم على مصافّكم)) - أي لا تفارقوا مكانكم - ثم أقبل إلينا فقال : ((إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قمتُ من الليل فصلَّيت ما قدّر لي فنعَست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عزَّ وجلَّ في أحسن صورةٍ [1]، فقال : يا محمد أتدري فيمَ يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا ربِّ ، فأعادها ثلاثاً ، فرأيته وضع كفَّه بين كتفيَّ حتى وجدتُ بَرْدها بين ثديَيَّ [2]، فتجلَّى لي كلَّ شيءٍ ، وعرفتُ - وفي رواية الترمذي : فعلمتُ ما في السماوات وما في الأرض - فقال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟[3] قلتُ : في الكفَّارات والدرجات ، قال : وما الكفَّارات ؟ قلتُ : نقل الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات[4] ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات ؟

---

[1] قال ابن الأثير في جامع الأصول: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته ، يقال : صورة الفعل كذا وكذا: لهيئته، وصورة الأمر كذا وكذا :لصفته ، فيكون المراد بما جاء في الحديث : إنه أتاه في أحسن صفةٍ ، ويجوز المعنى إلى النبي ﷺ أي أتاني ربي وأنا في أحسن صورة. اهـ قال الشيخ الإمام : ومما يؤيِّد أن الصورة قد يراد بها الصفة قوله ﷺ : [إنَّ أوَّل زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر] أي على صفته في النور والإضاءة، وليس المراد هيئته المستديرة .اهـ

[2] في هذا رموز وإيماءات إلى إفاضات وتجليات فيها انكشافات ومشاهدات وعلوم وإطلاعات ، فسبحان مَن تنزَّه عن الكميات والكيفيات ! .

[3] قال ابن الأثير : الملأ هم أشراف الناس وسادتهم وأراد هنا بالملأ الأعلى الملائكة المقربين اهـ .

[4] قوله صلى الله عليه وسلم [والجلوس في المساجد بعد الصلوات] أي دون أن يكون هناك كلام دنيوي مع الناس ، وفي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: [الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ، مَا لَمْ يُحْدِثْ ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ] ودعاء الملائكة محقق الإجابة ، لأنهم أمريُّون لا يفعلون شيئاً إلا بأمر الله تعالى ، فلما أمرهم سبحانه بالاستغفار لأحد يعني أنه

قلتُ : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة [1] والناس نيام [2] ، ثم قال : سَلْ ، قلتُ: اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبَّ المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنةً في قومٍ فتوفَّني غير مفتون ، وأسألكَ حُبَّك وحُبَّ مَنْ يحبك ، وحُبَّ عمل يقربني إلى حبّك .

وقال ﷺ : إنها حقٌّ فادرسوها وتعلَّموها][3].

ونسأل الله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

سبحانه يريد أن يغفر له ، وقد قال سبحانه في الملائكة عليهم السلام : { ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم }.اهـ
انظر ما سبق في كتاب (الإيمان بالملائكة) للشيخ الإمام رضي الله عنه ، ص ١٠٩

[1] وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه :
[أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ].
جاء في تحفة الأحوذي ٤١٥/٦ :
[وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ] مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ أَيْ كَذَلِكَ ، يَعْنِي: تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ ، أَوْ هِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ .
قَالَ الْقَاضِي : وَقِيلَ : الْأَظْهَرُ أَنْ يُقَدَّرَ الْخَبَرُ وَهُوَ (شِعَارُ الصَّالِحِينَ) كَمَا فِي جَامِعِ الْأُصُولِ ، ذَكَرَهُ الْقَارِي .اهـ
أي شعار الصالحين بالصلاح الخاص ، فمن أراد أن يكون من الصالحين فليلبس لباسهم الذي هو شعارهم ولا ينفك عنهم ، وهو قيام الليل .

[2] فاختصام الملأ الأعلى هو التقاول الذي يجري بينهم في شأن الكفارات والدرجات من الأعمال والأقوال على اختلاف أنواعها فيتباحثون في الدرجات واستحقاقاتها ومقتضياتها ، وأيُّها أحب إلى الله تعالى ، وأيُّها أعظم درجة وأكثر ثواباً ، وفي الكفارات ومقدار ما تكفر من الذنوب وتقي من العقوبات ، فيجري بينهم التقاول في ذلك ثم يُرفع الأمر إلى ربِّ العزَّة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين فيحكم حكمه في ذلك ، ولا معقِّب لحكمه جلَّ وعلا .

[3] ورواه الترمذي عن ابن عباس وقال : حسن صحيح ، وروى النسائي بعضه والحاكم وقال : على شرطهما .

المحاضرة الرابعة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب قول الله تعالى

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين]

وما يُنهى عن الكذب [1]

ثم أورد بسنده إلى عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا].

وأورد بسنده أيضاً إلى أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

[آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ].

وأورد بسنده أيضاً إلى سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

[رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا: الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ].اهـ

[1] أي باب ما يُنهى فيه عن الكذب ، انظر صحيح البخاري كتاب الأدب

قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } : ابتدأ نداءه سبحانه للمؤمنين بقوله جل جلاله : { يا أيها } وهذا التأييه للتنبيه إلى أهمية ما سيخبرهم أو سيأمرهم به سبحانه .

ولما كانت أوامر الله تعالى لعباده كلها عظيمة وفيها مصالح العباد لذلك جاء الابتداء بها بقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا } .

وفي هذه الآية أمر سبحانه وتعالى المؤمنين بالتقوى والكينونة مع الصادقين فقال عز وجل : { اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } .

وتقوى الله تعالى هي توقِّي عذابه وسخطه وعتابه وحجابه ، لأنها على مراتب ، ولا يحصل ذلك إلا بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب ما نهى عنه.

وقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله } أي أنتم الذين آمنتم بالله تعالى فإن إيمانكم يطالبكم بتقوى الله تعالى حتى يصِحَّ إيمانكم ويكمُل ، وهذا يدل على أنه لا بد للإيمان الاعتقادي من عمل يصدِّقه ، ولذلك قرن سبحانه العمل الصالح بالإيمان في كثير من الآيات فقال جل وعز : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات } .

ومن زعم لجهله أن الدين أمر يتعلق بالقلب فقط ولا حاجة للصلاة وما هنالك ، فيقال له : إن الدين الذي ارتضاه الله تعالى لنا وأمرنا أن نَدين به قد بيَّنه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه القرآن والوحي والبيان ، فقد بيَّن صلى الله عليه وسلم أن الدين يشتمل على الإيمان وهو الأمور الاعتقادية القلبية ، ويشتمل على الإسلام وهو الأمور العملية ، ويشتمل على الإحسان وهو مشاهدات القلب العامر بالإيمان للأنوار والأسرار الإلهية ، فقال صلى الله عليه وسلم : [فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم] [1] وهذا بعد أن سأل جبريل عليه السلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان في الحديث المشهور .

[1] طرف حديث في صحيح مسلم كتاب الإيمان

وبعد هذا البيان للدين عن صاحب البيان صلى الله عليه وسلم لا مجال لأحد أن يتحكم في تعريف الدين ، وأن يقيد مفهومه بالمعاملة أو حسن الخلق أو مداراة الناس ، فإن الدين يشمل اعتقاداً وأعمالاً وأقوالاً وآداباً وأخلاقاً ، كما بين ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء عنه.

قوله تعالى : { اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } أي : لتثبت عليكم تقواكم لله تعالى ، وتزداد عليكم بصحبة الأتقياء الصادقين ، وذلك لشدة تأثير الصحبة على الصاحب ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :
[لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ][1].

وإن المجالسة تورث المجانسة ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أثر ذلك لما ضرب مثلاً يبيِّن فيه حقيقة ذلك ، فقد روى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
[مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ] أي إن جلست معه [إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ] أي يدهنك بالمسك [وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً] أي فالنفع والفائدة حاصلة شئت أم أبيت ، بلا اختيار منك ولا منه ، فإن اختار أن يحذيك أصبت خيراً ، وإن اخترت أن تشتري منه حصلت خيراً ، وإن لم يحصل هذا ولا ذاك وجدت ريحاً طيبة أنعشتك ، فالنفع والخير حاصل في كل الحالات .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : [وَنَافِخُ الْكِيرِ] إن جلست إليه [إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ] لتطاير شرر النار ، وإن تجنبت ذلك فلا بد لك أن تجد ريحاً خبيثة كما قال صلى الله عليه وسلم [وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً][2].
فلا مناص إذاً من الضرر ، فاحذر أيها المؤمن صحبة ومجالسة الفساق والزنادقة والكفار لئلا تتأثر بهم ويسري إليك الضرر والفساد .

---

[1] سنن الترمذي كتاب الزهد
[2] صحيح البخاري كتاب الذبائح والصيد

وهذا قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } أي اتقوا الله ، واصدقوا مع الله ، وكونوا مع الصادقين مع الله تعالى ، ومَن صدق مع الله تعالى صدق مع الناس وحسن تعامله مع الناس ، ومَن حسّن تعامله مع الناس ليكسب ثناءهم ومدحهم دون أن يراقب ربه في معاملاته فهو مُراءٍ كذابٌ .

وقد بين صلى الله عليه وسلم أن الصدق يستلزم أموراً، وأن الكذب يستلزم أموراً ، وأن الإنسان إذا صدق في القول أداه إلى صدق العمل ، ويؤديه ذلك إلى عمل البر ، وعمل البر يوصله إلى الجنة .

وفي رواية للإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا] [1] .

وينبغي في صدق القول مراقبة الله تعالى بالقلب فيما يقوله ، لا إرضاء للناس .

والصدق في القول هو الكلام الموافق لواقع ما تتكلم عنه بشرط أن يكون قلبك موافقاً لهذا الواقع ، فمن قال: (لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فهي كلمة الصدق وقول الصدق ، ويجب عليك أن تكون مصدقاً بها موقناً بها ، حتى يكون قولك موافقاً لما اعتقده قلبك.

[1] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب

وأما من قال : (لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو منافق لا يعتقد بها ، فهو بذلك قد قال كلاماً موافقاً للواقع لكنه مخالف لما في قلبه ، وإنما قالها إرضاء للناس، فالصادق مَن تكلم بكلام موافق للواقع مطابق لما في قلبه ، وأما إذا وافق الواقع وخالف ما في قلبه فهو كاذب ، ولهذا قال تعالى : { إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون } فوصفهم سبحانه بالكاذبين مع أنهم تكلموا بكلام موافق للواقع ، وهو أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم حقاً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنهم خالفوا ما في قلوبهم من الكفر ، ولم يوافق قولُهم ما في ضمائرهم وقلوبهم ، لأنهم لم يعتقدوا أن سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوافق كلامهم الواقع وخالف ما في قلوبهم فهم كاذبون .

فقد بين صلى الله عليه وسلم أن من التزم الصدق في أقواله حمله ذلك وجرَّه إلى عمل البر والتقوى والصلاح .

والبِرّ هو الإيمان بشُعبه كلها ، لقوله تعالى : { ولكن البر من آمن بالله واليوم والآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون } .

قوله صلى الله عليه وسلم : [وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ] أي إن أعمال البر - وهي الأعمال الإيمانية - توصل صاحبها إلى الجنة .

قوله صلى الله عليه وسلم : [وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ] . أي في كلامه وبيعه ووعوده وعهوده وعقوده [حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا] أي في ديوان الصديقين ، ومَن سُجل في ديوان الصديقين لا يمحى منه ، وحسنت عاقبته ، وصار في ضمان الله تعالى .

قوله صلى الله عليه وسلم :[وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ] أي فمن كذب بلسانه واعتاد الكذب في كلامه فإن ذلك سيؤدي به إلى الفجور [1] ، أي إلى الفجور العملي ، فيفجر ويخرج عن أوامر الله تعالى ويقع في ما حرَّم الله تعالى [وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا] فيسجل في ديوان الكذابين فتسوء عاقبته ، نسأل الله العافية .

ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في التحذير من الكذب ما ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ] أي الصفات [كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ] [2] أي فقد يقع المؤمن في بعض المخالفات الشرعية ثم يرجع ويتوب ، إلا أن طبع الخيانة والكذب ينافي أصل الإيمان ، ومن اتصف بهما فقد عرض إيمانه للزوال ، وذلك لشدة خطر الكذب والخيانة وفسادهما وضررهما على المؤمنين .

ومن الخيانة أن يرجع التاجر عن بيع بضاعته بعد أن عقد مع المشتري عقد البيع ، وذلك لأن ثمن البضاعة قد ارتفع قبل أن يسلمها للمشتري ولم يكن بينهما خيار ، فينكث ويرجع عن بيعه ويخون صاحبه ، وكأن هذا الخائن ما درى أن عقد البيع ملزم للطرفين ، إلا إذا رضي أحدهما بالعدول عنه .

ومن الخيانة أن يزين البائع للمشتري بضاعة ويصفها بخلاف ما هي عليه حتى يورطه بها مستغلاً طيب نفسه وجهله بالأسعار ، والحال لو أنها عُرضت عليه لما اشتراها ولو بربع ما باعها .

---

[1] والفاجر : مَن خالف أصله وجاوز حده ، والأصل في المؤمن التزام مقتضيات الإيمان من أوامر ومَناهٍ ، فمن تعدى حدود الله تعالى ووقع في محارمه فقد خالف ما يتطلبُه منه إيمانه ، وفجر بأن جاوز حده .

[2] ٢١١٤٩

وقد بين صلى الله عليه وسلم أن عذاب الكذابين يبدأ بعد موتهم ، وقد رأى ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدَّث عنه في حديث طويل أشار إليه الإمام البخاري رضي الله عنه ، فرأى سيدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العصاةَ من أهل البرزخ وهم يعذَّبون بسبب معاصيهم التي ارتكبوها في الدنيا ...

روى البخاري عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ:

[كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟

قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ : هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا ؟ قُلْنَا: لَا ، قَالَ: لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ ، - قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى -: إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ ، قُلْتُ: مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا ، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا ، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ.

- قَالَ يَزِيدُ وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ - : وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنْ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا ، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ

وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا ، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ ، قُلْتُ : طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالَا : نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا ، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام ، وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ ، وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ ، وَالدَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ ، وَأَنَا جِبْرِيلُ ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ ، قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي ، قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ][1].

وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ

قَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ

فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ

قَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ

قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِن الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِن الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

قَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ

قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ][2].

---

[1] صحيح البخاري كتاب الجنائز

[2] صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها

وإن رؤيته صلى الله عليه وسلم للمُغَيَّبات وإخباره عنها يجب أن تكون عند الإنسان بمنزلة العيان ، بل أقوى وأثبت ، لأنه صلى الله عليه وسلم هو أعلم خلق الله بالله جل وعلا ، وأصدق خلق الله تعالى ، فرؤيته صلى الله عليه وسلم ليست كرؤية غيره ، لأن الله تعالى أمده وأعده لذلك ، ورؤيته صلى الله عليه وسلم لا تحتمل الخطأ والشك لأن الله تعالى الذي أرسله أراه وأسمعه وأطلعه على ذلك .

ولو أن أحداً من الناس كشف الله تعالى له عن عذاب المقبورين لذُعر وخاف وولى مدْبراً لعدم تحمله واستعداده لذلك ، وهذا من رحمة الله تعالى بخلقه أن حجب عذاب المقبورين عنهم حتى يدفن الأحياء منهم الأموات ، ويتمكنوا من دخول المقابر ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : [فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ...] الحديث كما تقدم ، وقد يكشف الله تعالى لبعض أوليائه عن حال أهل البرزخ من باب الإكرام لهم ، ومن ذلك ما جاء عن الشيخ داود الطائي [1] رضي الله عنه ونفعنا به ، عندما مر بقبر ، فسمع صوتاً في القبر : ألم أصلِّ ، ألم أزكِّ ، ألم أفعل كذا وكذا ؟ - أي : المأمورات -

---

[1] هو سيدي أَبُو سُلَيْمَان دَاوُد بْن نصير الطائي - نسبة إلى قبيلة بني طيء - الإمام، الفقيه، القدوة، الزاهد ، وُلِدَ: بَعْدَ المائَةِ بِسَنَوَاتٍ ، سمع الحديث الشريف ، واشتغل بالفقه مدة ، ثم اختار العبادة والزهد، فبلغ منهما الغاية.

من كلامه رضي الله عنه : (ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا بشر) .

وقَالَ أَبُو الرَّبِيع الواسطي: قُلْت لداود الطائي: أوصني ، فقَالَ: صم عَنِ الدنيا ، واجعل فطرك الْمَوْت ، وفر من النَّاس كفرارك من السبع.

وَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِ جِنَازَتِه، حَتَّى قِيْلَ: بَاتَ النَّاسُ ثَلاَثَ لَيَالٍ مَخَافَةَ أَنْ يَفُوْتَهُم شُهُوْدُهُ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّيْنَ وَمائَةٍ ، وَقِيْلَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّيْنَ للهجرة النبوية الشريفة

(انظر الرسالة القشيرية ص ١٢ ،وطبقات الأولياء لابن الملقن سراج الدين ص ٢٠٣ ، وسير أعلام النبلاء ٧ / ٤٢٥) .

فأُجيب : بلى يا عدو الله ، ولكن كنت في الدنيا إذا خلوت بارزت الله تعالى بالمعاصي ولم تراقبه [1].اهـ

وكما أنَّ عَدوى الأجسامِ في الأمراض ثابتةٌ بإذنِ الله تعالى وإرادتِه[2]

فإنَّ عَدوى الطّباعِ والأخلاقِ ثابتَةٌ أيضاً وأشدُّ تأثيراً ،

ولذلكَ تجدُ مَثَلاً مَن جَالَسَ قومَاً شأنُهم الخِفَّة والضَّحِكُ صَارَ مِثلَهم ، وهو لا يَشعُر ، ومَن جالَس أهلَ الأدَبِ والعِلمِ والفَضلِ تأثَّر بهم وسَرَى مِن حالهم إليه ، ولذلكَ أَمَر سبحانَه بصُحبة ومُجالَسة الصَّادقين فقال : { اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } أي كُونوا مِثلَهم في الصِّدقِ ، وكُونوا معَهم حتى ينالكم من خيرِهم وفَضلِهم الذي يتفضَّل الله تعالى به عليهم ،

فقد جاء في الحديث القُدسي في مَدحِ القَومِ الذين جَلَسُوا يَذكُرونَ الله تعالى : [هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ] [3].

فلمَّا جَالَسهُم الرجلُ - الذي جاء لحاجةٍ - أكرَمَه الله تعالى بسببِهم، وغَفَر له كما غَفَر لهم.

ونسأل الله تعالى التَّوفيقَ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] انظر تفسير النيسابوري ٢/ ٢٢٩ ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣١٧٨/٨

٢ أما قولُه صلى الله عليه وسلم: [لَا عَدْوَى] - كما جاء في صحيح البخاري - أي : لَا عَدْوَى مِن ذاتِها ، كَمَا كانَ يعتقدُه المُشرِكونَ في الجاهليَّة، بل هي بإذنِ الله تعالى ومشيئِته، وقد أَمَرَ صلى الله عليه وسلم بالابتعاد والتَّوقي من الأمراض المُعدِية مِن بابِ الأَخذِ بالأسباب - وإنْ كانَ كلُّ شيء بإذنِ الله تعالى وقَدَره - فقالَ صلى الله عليه وسلم : [وَفِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنْ الْأَسَدِ] .

١ طرف حديث في صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار

المحتوى

المحاضرة الأولى	١
المحاضرة الثانية	١١
المحاضرة الثالثة	١٥
المحاضرة الرابعة	٣٤
المحاضرة الخامسة	٤١
المحاضرة السادسة	٥٥
المحاضرة السابعة	٦٧
المحاضرة الثامنة	٧٤
المحاضرة التاسعة	٨٧
المحاضرة العاشرة	٩٦
المحاضرة الحادية عشرة	١٠٤
المحاضرة الثانية عشرة	١١٥
المحاضرة الثالثة عشرة	١٢٤
المحاضرة الرابعة عشرة	١٣٢

كُتُب للمُؤَلِف

* حول تفسير سورة الفاتحة - أم القرآن الكريم .
* حول تفسير سورة الحجرات .
* حول تفسير سورة (ق) .
* حول تفسير سورة الملك .
* حول تفسير سورة الإنسان .
* حول تفسير سورة العلق .
* حول تفسير سورة الكوثر .
* حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين بعدها .
* هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان .
* هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان .
* تلاوة القرآن المجيد - فضائلها - آدابها - خصائصها .
* شهادة لا إلـه إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ :
فضائلها - معانيها – شواهدها ومشاهدها - مطالبها .
* سيدنا محمد رسول الله ﷺ : خصاله الحميدة - شمائله المجيدة .
* الهدي النبوي والإرشادات المحمدية ﷺ إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب السنية.
* التقرب إلى الله تعالى : فضله - طريقه - مراتبه .
* الصلاة في الإسلام : منزلتها في الدين - فضائلها - آثارها - آدابها .
* الصلاة على النبي ﷺ : أحكامها - فضائلها - فوائدها .
* صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال.
* الدعاء : فضائله - آدابه - ما ورد في المناسبات ومختلف الأوقات .

* الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها .

* الإيمان بالملائكة عليهم السلام ومعه بحث حول عالم الجن .

* حول ترجمة الإمام العلامة المرحوم محمد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالى.

* شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث .

* الأدعية والأذكار الواردة آناء الليل وأطراف النهار.

* أدعية الصباح والمساء ومعها استغاثات .

* مناسك الحج ويليها أحكام زيارة النبي ﷺ وآدابها .

* الصيام : آدابه - مطالبه - فوائده - فضائله .

وتجدونها كلها متاحة للتحميل

في الموقع الرسمي والوحيد للشيخ الإمام :

www.srajalden.com

في قسم : مؤلفات الإمام – المؤلفات المكتوبة

من آثار الشيخ الإمام

* محاضرات حول الفضائل المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم .

* محاضرات حول الإسراء والمعراج : آثاره - فضائله - أسراره.

*محاضرات حول الإيمان بالقضاء والقدر.

* دروس حول تفسير بعض آيات القرآن الكريم .

* محاضرات حول عالم الجنة : مراتب الجنة - ألوان النعيم في الجنة - صفات أهل الجنة .

* محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ مع العالم – الجزء الأول .

* محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ مع العالم في الوعظ والتذكير – الجزء الثاني .

* محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ مع العالم - موقف تعليم الكتاب - الجزء الثالث.

* محاضرات حول مقامات أهل الإيمان - الجزء الرابع .

* محاضرات حول هجرة سيدنا رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

* محاضرات حول تفسير خواتيم سورتَي البقرة وآل عمران والمعوِّذات وأذكار بعد الصلوات.

* محاضرات حول مقتضيات الشهادة بأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

* مجالس الحديث النبوي الشريف - الجزء الأول .

* مجالس الحديث النبوي الشريف - الجزء الثاني .

وتجدونها كلها متاحة للتحميل

في الموقع الرسمي والوحيد للشيخ الإمام :

www.srajalden.com

في قسم : مؤلفات الإمام – المؤلفات المكتوبة

قَبَسات من المؤلفات

* حُكْمُ أَبَوَيْ سيِّدنا محمد ﷺ الشَّريفَين .
* آثار الزكاة وأنوارها ، وعقاب مانع الزكاة .
* أربعون حديثاً من جوامع كلِم النبي ﷺ .
* الأمر بالمحافظة على الصلاة ، والتحذير من تأخيرها والوعيد الشديد لمن تركها
* البشائر الغُرر للمكثرين من الصلاة على سيد البشر ﷺ .
* التوسل والاستغاثة بسيدنا محمد ﷺ .
* الكلام حول الأدلة على أنه لا إله إلا الله وحده .
* بيان قصة الغرانيق الباطلة .
* رحمة سيدنا محمد ﷺ للعالم .
* سبب وجود بعض الأحاديث التي فيها ضعف في مؤلفات الإمام .
* شفاعة سيدنا محمد ﷺ العامة والخاصة .
* صلاة الاستخارة ودعاؤها .
* حول مولده الشريفﷺ والابتهاج والاحتفال بيوم مولده الشريف ﷺ .
* سبب ذكر بعض البشائر المنامية في كتاب الصلاة على النبي ﷺ .
* صلاة التراويح وعدد ركعاتها .
* عصمة سيدنا محمد ﷺ من الخطأ في جميع أحواله .
* وصول الثواب إلى الأموات .
* معاني الصلاة الإبراهيمية .
* محبة الصحابة لسيدنا محمد ﷺ .

وتجدونها كلها متاحة للتحميل

في الموقع الرسمي والوحيد للشيخ الإمام :

www.srajalden.com

في قسم : مؤلفات الإمام – قبسات من المؤلفات